كلمات
في الاخـــــلاق
أو مداواة النفوس

للعالمين الفاضلين المرحومين

ابن حزم الاندلسى وقاسم بك امين المصرى

المستشار بمحكمة الاستئناف الاهلية

المصرية سابقا

﴿ يطلب من منصور عبد المتعال الكتبى ﴾

﴿ صاحب مكتبة سوق عكاظ ﴾

(بشارع الحلوجى بمصر)

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ سنة ١٣٣١ هـ ــ ١٩١٣م ﴾

﴿ طبع بالمطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر ﴾

﴿ رب يسر يا كريم ﴾

قال أبو محمد بن علي بن احمد بن سعيد بن حزم الفقيه الاندلسي رحمه . الحمد لله على عظيم مننه وصلى الله على محمد عبده وخاتم انبيائه ورسله وأبرأ اليه تعالى من الحول والقوة . وأستعينه على كل مايعصم في الدنيا من جميع المخاوف والمكاره . ويخلص فى الاخرى من كل هول وضيق (أما بعد) فانى جمعت فى كتابي هذا معانى كثيرة أفادنيها واهب التمييز تعالى بمرور الايام وتعاقب الاحوال بما منحنى عز وجل من التهمم بتصاريف الزمان والاشراف على أحواله حتى انفقت فى ذلك أكثر عمرى وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة له والفكرة فيه على جميع اللذات التى تميل اليها أكثر النفوس وعلى الازدياد من فضل المال وذممت كل ما سبرت من ذلك بهذا الكتاب لينفع الله تعالى به من يشاء من عباده ممن يصل اليه ما اتعبت فيه نفسى وأجهدتها فيه وأطلت فيه فكرى فيأخذه عفوا وأهديته اليه هنيئا فيكون ذلك افضل له من كنوز المال وعقد الاملاك اذا تدبره ويسره الله تعالى لاستعماله وأنا راج فى ذلك من الله تعالى أعظم الاجر لنيتى فى نفع عباده واصلاح ما فسد من أخلاقهم ومداواة علل نفوسهم وبالله تعالى أستعين

(فصل فى مداواة النفوس واصلاح الاخلاق الذميمة)

لذة العاقل بتمييزه ولذة العالم بعلمه ولذة الحكيم بحكمته ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده أعظم من لذة الآكل بأكله والشارب بشربه والواطئ بوطئه والكاسب بكسبه واللاعب بلعبه والآمر بأمره وبرهان ذلك أن

الحكيم والعاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللذات التي سمينا كما يجدها المجتهد فيها ويحسونها كما يحسها المقبل عليها وانما يحكم في الشيئين من عرفهما لا من عرف أحدهما ولم يعرف الآخر . اذا تعقبت الامور كلها فسدت عليك وانتهت في أخذ فكرتك باضمحلال جميع أحوال الدنيا الى أن الحقيقة انما هي العمل للآخرة فقط لان كل أمل ظهرت في عقباه حزن اما بذهابه عنك واما بذهابك عنه ولا بد من أحد هذين السبيلين الا العمل لله عز وجل فعقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل . أما العاجل فقلة الهم بما يهتم به الناس وانك معظم من الصديق والعدو . وأما في الآجل فالجنة . تطلبت غرضا يستوى الناس كلهم في استحسانه وفي طلبه فلم أجده الا واحدا وهو طرد الهم فلما تدبرته علمت أن الناس كلهم لم يستووا في استحسانه فقط ولا في طلبه فقط . ولكن رأيتهم على اختلاف أهوائهم ومطالبهم ومراداتهم لا يتحركون حركة أصلا الا فيما يرجون به طرد الهم ولا ينطقون بكلمة اصلا الا فيما يعانون به ازاحته عن أنفسهم . فمن مخطئ وجه سبيله . ومن مقارب للخطاء . ومن مصيب وهو الاقل . فطرد الهم مذهب قد اتفقت الامم كلها منذ خلق الله تعالى العالم الى أن يتناهى عالم الابتداء ويعاقبه عالم الحساب على أن لا يعتمدوا بسعيهم شيئا سواه . وكل غرض غيره ففي الناس من لا يستحسنه اذ في الناس من لا دين له فلا يعمل للآخرة وفي الناس من أهل الشر من لا يريد الخير ولا الامن ولا الحق . ومن الناس من يؤثر الخمول بهواه وارادته على بعد الصيت . وفي الناس من لا يريد المال ويؤثر عدمه على وجوده ككثير من الانبياء عليهم السلام ومن تلاهم من الزهاد والفلاسفة

وفي الناس من يبغض اللذات بطبعه ويستنقص طالبها كمن ذكرنا من المؤثرين
فقد المال على اقتنائه . وفي الناس من يؤثر الجهل على العلم كأكثر من نرى
من العامة . وهذه هي أغراض الناس التي لاغرض لهم سواها . وليس في
العالم مذ كان الى أن يتناهى أحد يستحسن الهم ولا يريد الا طرحه عن
نفسه فلما استقر في نفسي هذا العالم الرفيع وانكشف لي هذا السر العجيب
وأنار الله تعالى لفكري هذا الكنز العظيم . بحثت عن سبيل موصلة الحقيقة
الى طرد الهم الذي هو المطلوب النفيس الذي اتفق جميع أنواع الانسان
الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح على السعي له فلم أجدها لا التوجه الى
الله عز وجل بالعمل للآخرة . والا فانما طلب المال طلابه ليطردوا به هم الفقر
عن أنفسهم . وانما طلب الصوت من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الاستعلاء
عليها . وانما طلب اللذات من طلبها ليطرد به عن نفسه هم فوتها . وانما طلب
العلم من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الجهل . وانما هش الى سماع الاخبار
ومحادثة الناس من يطلب ذلك ليطرد بها عن نفسه هم التوحد ومغيب أحوال
العالم عنه . وانما أكل من أكل وشرب من شرب ونكح من نكح ولبس
من لبس ولعب من لعب وكنز من كنز وركب من ركب ومشى من مشى
وتورع من تورع ليطردوا عن أنفسهم أضداد هذه الافعال وسائر الهموم
وكل ما ذكرنا لمن تدبره هموم حادثة لابد لها من عوارض تعرض في خلالها
وتعذر ما يتعذر منها وذهاب ما يوجد منها والعجز عنه لبعض الآفات الكائنة
وأيضاً سوء شح بالحصول الى ما حصل عليه من ذلك من خوف منافس أو
طعن حاسد أو اختلاس راغب أو اقتناء عدو مع الذم والاثم وغير ذلك وجدت

العمل للآخرة سالماً من كل عيب خالصاً من كل كدر موصلاً الى طرد الهم على الحقيقة ووجدت العامل للآخرة ان امتحن بمكروه فى تلك السبيل لم يهتم بل يسر اذ رجاؤه فى عاقبة ماينال به عون على مايطلب وزائد فى الغرض الذى يقصد . ووجدته ان عاقه عما هو بسبيله عائق . لم يهتم اذ ليس مؤاخذاً بذلك فهو غير مؤثر فى مايطلب ورأيته ان قصد بالاذى سر وان نكبته نكبة سر . وان تعب فيما سلك فيه سر . فهو فى سرور متصل أبداً وغيره بخلاف ذلك أبداً . فاعلم انه مطلوب واحد وهو طرد الهم وليس اليه الا طريق واحد وهو العمل لله تعالى فما عدى هذا فضلال وسخف . لا تبذل نفسك الا فيما هو أعلى منها . وليس ذلك الا فى ذات الله عز وجل . فى دعاء الى حق . وفى حماية الحريم . (وفى دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى) . وفى نصر مظلوم (وباذل نفسه فى غرض دنيا كبائع الياقوت بالحصا) لا مروءة لمن لا دين له . العاقل لا يرى لنفسه ثمناً الا الجنة . لابليس فى ذم الرياء حبالة . وذلك انه رب ممتنع من فعل خير خوف ان يظن به الرياء

﴿ باب عظيم من أبواب العقل والراحة ﴾

وهو طرح المبالاة بكلام الناس واستعمال المبالاة بكلام الخالق عز وجل بل هو العقل كله والراحة كلها (من قدّر انه يسلم من طعن الناس وعيوبهم فهو مجنون) من حقق النظر وراض نفسه على السكون الى الحقائق . وان آلمها فى أول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه اشد وأكثر من اغتباطه بمدحهم اياه . لان مدحهم اياه ان كان بحق وبلغه مدحهم له اسرى ذلك فيه العجب فافسد بذلك فضائله . وان كان بباطل فبلغه فسر فقد صار

مسرورا بالكذب . وهذا نقص شديد واما ذم الناس اياه فان بحق فبلغه
فربما كان ذلك سببا الى تجنبه ما يعاب عليه وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه
الا ناقص . وان كان بباطل فصبر اكتسب فضلا زائدا بالحلم والصبر وكان
مع ذلك غانما لانه يأخذ حسنات من ذمه بالباطل فيحظى بها فى دار
الجزاء أحوج ما يكون الى النجاة باعمال لم يتعب فيها ولا تكلفها . وهذا
حظ رفيع لا يزهد فيه الا مجنون . واما ان لم يبلغه مدح الناس اياه فكلامهم
وسكوتهم سواء . وليس كذلك ذمهم اياه لانه غانم للاجر على كل حال
بلغه ذمهم أو لم يبلغه . ولولا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الثناء
الحسن . ذلك عاجل بشر المؤمن لوجب ان يرغب العاقل فى الذم بالباطل
أكثر من رغبته فى المدح بالحق ولكن اذ جاء هذا القول فانما تكون
البشرى بالحق لا بالباطل فانما تجب البشرى بما فى المدح لا بنفس المدح (ليس
بين الفضائل والرذائل والطاعات والمعاصى الا نفار النفس وانسها فقط .
فالسعيد من انست نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من الرذائل والمعاصى .
والشقى من انست نفسه بالرذائل والمعاصى ونفرت من الفضائل والطاعات .
وليس ههنا الا صنع الله تعالى وحفظه . طالب الآخرة متشبه بالملائكة .
وطالب الشر متشبه بالشياطين . وطالب الصوت والغلبة متشبه بالسباع
وطالب اللذات متشبه بالبهائم) وطالب المال لعين المال لا لنفقته فى
في الواجبات والنوافل المحمودة اسقط واذل من أن يكون له فى شىء من
الحيوان شبه ولكنه يشبه الغدرات فى الكهوف فى المواضع الوعرة لا ينتفع
بها شىء من الحيوان . العاقل لا يغتبط بصفة يفوقه فيها سبع أو بهيمة أو جماد .

وانما يغتبط بتقدمه فى الفضيلة التى أبانه الله بها عن السباع والبهائم والجمادات وهى التمييز الذى يشارك فيه الملائكة فمن سر بشجاعته التى يضعها فى غير موضعها لله تعالى فليعلم ان النمر أجرأ منه . وان الاسد والذئب والفيل أشجع منه . ومن سرّ بقوة جسمه فليعلم ان البغل والثور والفيل أقوى منه جسما . ومن سر بحمله الاثقال فليعلم ان الحمار احمل منه ومن سر بسرعة عدوه فليعلم ان الكلب والارنب أسرع عدوا منه ومن سر بحسن صوته فليعلم ان كثيرا من الطير أحسن صوتا منه . وان أصوات المزامير الذ وأطرب من صوته . فاى فخر واى سرور فى ما تكون فيه هذه البهائم متقدمه عليه . لكن من قوى تمييزه واتسع علمه وحسن عمله فليغتبط بذلك فانه لا يتقدمه فى هذه الوجوه الا الملائكة وخيار الناس قول الله تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) جامع لكل فضيلة لان نهى النفس عن الهوى هو ردعها عن الطبع الغضبى وعن الطبع الشهوانى لان كليهما واقع تحت موجب الهوى فلم يبقَ الا استعمال النفس للنطق الموضوع فيها الذى به بانت عن البهائم والحشرات والسباع (قول) رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى استوصاه لا تغضب وأمره عليه السلام ان يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه جامعان لكل فضيلة لان فى نهيه عن الغضب ردع النفس ذات القوة الغضبية عن هواها وفى أمره عليه السلام ان يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه ردع النفس عن القوة الشهوانيه وجمع لازمة العدل الذى هو فائدة النطق الموضوع فى النفس الجامدة

﴿ فصل فى العلم ﴾

لولم يكن من فضل العلم الا ان الجهال يهابونك و يحبونك وان العلماء يحبونك ويكرمونك لكان ذلك سببا الى وجوب طلبه فكيف بسائر فضائله فى الدنيا والآخرة ولو لم يكن من نقص الجهل الا ان صاحبه يحسد العلماء ويغبطه نظراؤه من الجهال لكان ذلك سببا الى وجوب الفرار عنه • فكيف بسائر رذائله فى الدنيا والآخرة • لولم يكن من فائدة العلم والاشتغال به الا أنه يقطع المشتغل به عن الوساوس المضنية ومطارح الآمال التى لا تفيد غير الهم وكفاية الافكار المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظم داع اليه فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره ومن أقلها ماذكرناه مما عليه طالب العلم وفى مثله أتعب ضعفاء الملوك انفسهم فتشاغلوا عما ذكرنا بالشطرنج والنرد والخمر والاغانى وركض الدواب فى طلب الصيد وسائر الفضول التى تعود بالمضرة فى الدنيا والآخرة • لو تدبر العالم فى مرور ساعاته ماذا كفاه العلم من الذل بتسلط الجهال ومن الهم بمغيب الحقائق عنه ومن الغبطة بما قد بان له وجهه من الامور الخفية عن غيره لزاد حمد الله عز وجل وغبطة بما لديه من العلم ورغبة في المزيد منه • من شغل نفسه بادنى العلوم وترك أعلاها وهو قادر عليه كان كزارع الذرة فى الارض التي يجود فيها البر وكغارس الشعراء حيث يزكو النخل والزيتون • نشر العلم عند من ليس من أهله مفسد لهم كاطعامك العسل والحلواء من به احتراق وحمى وكتشميمك المسك لمن به صداع من احتدام الصفراء • الباخل بالعلم ألوم من الباخل بالمال لان الباخل بالمال أشفق من فناء ما بيده والباخل بالعلم

بخل بما لا يفنى على النفقة ولا يفارقه مع البدل · من مال بطبعه الى علم ما وان كان أدنى من غيره فلا يشغله بسواه · فيكون كغارس النارجيل بالاندلس وكغارس الزيتون بالهند وكل ذلك لا ينجب (أجل العلوم ماقربك الى خالقك تعالى وما أعانك على الوصول الى رضاه) (أنظر فى المال والصحة الى من دونك وانظر فى الدين والعلم والفضائل الى من فوقك) العلوم الغامضة كالدواء القوى يصلح الاجساد القويه ويهلك الاجساد الضعيفة وكذلك العلوم الغامضة تزيد العقل القوى جودة وتصفيه من كل آفة وتهلك ذا العقل الضعيف (من الغوص على الجنون · مالو غاصه صاحبه على العقل لكان احكم من الحسن البصرى وافلاطون الاثينى وبزرجمهر الفارسي) وقف العقل عند انه لا ينفع ان لم يؤيده بتوفيق فى الدين أو يسعد فى الدنيا · وقف العلم عند الجهل بصفات البارى عز وجل لا آفة على العلوم ولعلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها فانهم يجهلون و يظنون انهم يعلمون ويفسدون ويظنون أنهم يصلحون · من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الاخلاق كلها واستحقاق الفضائل باسرها فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليستعمل اخلاقه وسيره ما أمكنه اعاننا الله على الاتساء به بمنه أمين

غاظني أهل الجهل مرتين من عمرى (احداهما) بكلامهم فيما لا يحسنونه أيام جهلى (والثانية) بسكوتهم عن الكلام بحضرتى فهم أبدا ساكتون عما ينفعهم ناطقون فيما يضرهم وسرنى أهل العلم مرتين من عمرى (احداهما) بتعليمى أيام جهلى (والثانية) بمذاكرتى أيام علمى من فضل العلم والزهد فى

الدنيا لانهما لا يؤتيهما الله عز وجل الا أهلهما ومستحقهما ومن نقص أحوال الدنيا من المال والصوت ان أكثر مايقعان في غير أهلهما وفيمن لا يستحقهما. من طلب الفضائل لم يساير الا أهلها ولم يرافق في تلك الطريق الا أكرم صديق . أهل المساواة والبر والصدق وكرم العشيرة والصبر والوفاء والامانة والحلم وصفاء الضمائر وصحة المودة ومن طلب الجاه والمال واللذات لم يساير الا أمثال الكلاب الكلبة والثعالب الخلبة ولم يرافق في تلك الطريق الا كل عدو المعتقد خبيث الطبيعة . منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة وهو انه يعلم حسن الفضائل فيأتيها ولو في الندرة . ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ولو في الندرة . ويستمع الثناء الحسن فيرغب في مثله والثناء الردى فينفر منه فعلى هذه المقدمات وجب ان يكون للعلم حصة في كل فضيلة . وللجهل حصة في كل رذيلة ولا يأتي الفضائل من لم يتعلم الا صافي الطبع جدا فاضل التركيب . وهذه منزلة خص بها النبيون عليهم الصلاة والسلام لان الله علمهم الخير كله دون ان يتعلموه من الناس

﴿ فصل في الاخلاق والسير ﴾

احرص على أن توصف بسلامة الجانب وتحفظ من أن توصف بالدهاء . فيكثر المتحفظون منك حتى ربما اضر ذلك بك وربما قتلك موطن نفسك على ما تكره يقل همك اذا أتاك ولم تستضر بتوطينك أولا ويعظم سرورك ويتضاعف اذا أتاك ما تحب مما لم تكن قدوته . اذا تكاثرت الهموم سقطت كلها الغادر يفي بالمحدود والوافي يغدر بالمحدود والسعيد كل السعيد في دنياه من لم يضطره الزمان الى اختبار الاخوان . لا تفكر فيمن يؤذيك

فانك ان كنت مقبلا فهو هالك وسعدك يكفيك . وان كنت مدبرا فكل أحد يؤذيك طوبى لمن علم عيوب نفسه أكثر مما يعلمه الناس منها . الصبر على الجفاء ينقسم ثلاثة أقسام فصبر عمن يقدر عليك ولا تقدر عليه . وصبر عمن تقدر عليه ولا يقدر عليك وصبر عمن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك فالاول ذل ومهانة وليس من الفضائل والرأى لمن خشى ماهو أشد مما يصبر عليه المتاركة والمباعدة والثانى فضل وبر وهو الحلم على الحقيقة وهو الذى يوصف به الفضلاء والثالث ينقسم قسمين اما أن يكون الجفاء ممن لم يقع منه الا على سبيل الغلط ويعلم قبح ما أتى به ويندم عليه . فالصبر عليه أفضل وفرض وهو حلم على الحقيقة . وأما من كان لا يدرى مقدار نفسه وظن أن لها حقا يستطيل به فلا يندم على ماسلف منه . فالصبر عليه ذل للصابر وافساد للمصبور عليه . لانه يزيد استشراء والمقارضة له سخف والصواب اعلامه بانه كان ممكنا أن ينتصر منه وانما ترك ذلك استرذالا له فقط وصيانة عن مراجعته ولا يزاد على ذلك . وأما جواب السفلة فليس جوابه الا النكال وحده . من جالس الناس لم يعدم هما يؤلم نفسه وانما يندم عليه فى معاده وغيظا ينضج كبده وذلا ينكس همته فما الظن بعد بمن خالطهم وداخلهم والعز والراحة والسرور والسلامة في الانفراد عنهم ولكن اجعلهم كالنار تدفأ بها ولا تخالطها . لا تحقر شيئا من عمل غد لان تحققه بان تعجله اليوم . فان من قليل الاعمال يجتمع كثيرها وربما أعجز أمرها فبطل الكل . ولا تحقر شيئاً مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث أن تعجله الآن وان قل فانه يحط عنك كثيرا لو اجتمع لقذف بك في النار . الوجع والفقر والنكبة والخوف

لا يحس أذاها الا من كان فيهـا ولا يعلمه من كان خارجا عنها . وفساد الرأي والعار والاثم لا يعلم قبحها الا من كان خارجاً عنهـا وليس يراه من كان داخلا فيها . الامن والصحة والغنى لا يعرف حقها الا من كان خارجا عنها . وليس يعرف حقها من كان فيها . وجودة الرأى والفضائل وعمل الآخرة لا يعرف فضلها الا من كان من أهلها ولا يعرفه من لم يكن منها أول من يزهد في الغادر من غدر له الغادر وأول من يمقت شاهد الزور من شهد له به وأول من تهون الزانية في عينه الذى يزنى بها . ما رأينا شيئا فسد فساد الي صحة الا بعد التى فكيف بدماغ يتوالى عليـه فساد السكر كل ليلة . وان عقلا زين لصاحبه تعجيل افساده كل ليلة لعقل ينبغى أن يتهم . قد ينحس العاقل بتدبيره ولا يجوز أن يسـعد الاحمق بتدبيره . لا شيء أضر على السلطان من كثرة المتفرغين حواليه . فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شـغلوه بما يظلمونه فيه . مقرب أعدائه قاتل نفسه . التهويل بلزوم زى ما والا كفهرار وقلة انبساط ستائر جملها الجهال الذين مكنتهم الدنيا أمام جهلهم . ثق بالمتدين وان كان على غـير دينك من استخف بحرمات الله تعالى فلا تأمنـه على شيء تشفق عليـه وجدت المشاركـين بارواحهم أكـثر من المشاركين باموالهم . وعلة ذلك طبيعة ولا تثق بالمستخف وان أظهر أنه على دينك في البشر انما تأنس النفس بالنفس فاما الجسد فمستثقل مبروم به . ودليل ذلك استعجال المرء بدفن حبيبه اذا فارقته نفسه وأسفه لذهاب النفس وان كانت الجثة حاضرة بين يديه لم أر لابليس أصيد من كلمتين ألقاهما على ألسنة دعاته (أحدهما) اعتذار من

أساء بان فلانا أساء قبله (والثانية) استسهال الانسان أن يسيء اليوم لأنه قد أمس . بذل الواجبات فرض • وبذل ما فضل عن القوت جود . والايثار على النفس من القوت بما لا تهلك على عدمه فضل . ومنع الواجبات حرام ومنع ما فضل عن القوت بخل وشح • والمنع من الايثار ببعض القوت شحح •• ومنع النفس او الاهل للقوت او بعضه نتن ورذالة ومعصية • والسخاء بما ظلمت فيه او اخذته بغير حقه ظلم مكروه . والذم جزاء ذلك لا الحمد لانك انما تبذل مال غيرك على الحقيقة لا مالك • واعطاء الناس حقوقهم مما عندك ليس جودا ولكنه حق . حد الشجاعة بذل النفس للموت عن الدين او الحريم او عن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم وعن الهضيمة ظلما في المال والعرض وسائر سبل الحق سواء قل من يعارض او اكثر • والصبر عما ذكرنا جبن وخور • وبذلها في عروض الدنيا تهور وحمق • واحمق من ذلك من بذلها في المنع في الحقوق والواجبات قبلك اوقبل غيرك واحمق من هؤلاء كلهم قوم شاهدتهم لا يدرون فيما يبذلون انفسهم فتارة يقاتلون زيدا عن عمرو وتارة يقاتلون عمرا عن زيد ولعل ذلك يكون في يوم واحد فيتعرضون للمهالك بلا معنى فينقلبون الى النار أو يفرون الى العار . وقد انذر بهؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل • حد العفة ان تغض بصرك وجميع جوارحك عن الاجسام التي لا تحل لك فما عدا هذا فهو عهر • وما نقص حتى يمسك عما احل الله تعالى فهو ضعف وعجز • حد العدل ان تعطي من نفسك الواجب وتأخذه • وحد الجور ان تأخذه ولا تعطيه • وحد

الكرم ان تعطى من نفسك الحق طائعا وتتجافى عن حقك لغيرك قادرا . فالفضل اعم والجود اخص اذ الحلم فضل وليس جودا والفضل فرض زدت عليه نافلة . اهمال ساعة يفسد رياضة سنة . خطأ الواحد خير في تدبير الامور . من صواب الجماعة التي لا يجمعها واحد . لان خطأ الواحد في ذلك يستدرك وصواب الجماعة يضرى على استدامة الاهمال وفى ذلك الهلاك سوء الظن يعده قوم عيب على الاطلاق وليس كذلك الا اذا ادى صاحبه الى ما لا يحل في الديانة او الى ما يقبح في المعاملة : والا فهو حزم والحزم فضيلة . عيب بعضهم باتلاف ماله فقال . انى لا اضيع منه الا ما كان في حفظه نقص ديني أو اخلاق عرضي او اتعاب نفسى فانى ارى الذي احفظ من هذه الثلاثة وان قل اجل في العوض مما يضيع من مالى ولو انه كل ما ذرت عليه الشمس . افضل نعم الله على العدل ان يطبعه على العدل وحبه وعلى الحق وايثاره . من عيب حب الذكر انه يحبط الاعمال اذا حب عاملها ان يذكر بها وكاد يكون شركا لانه يعمل لغير الله تعالى وهو يطمس الفضائل لان صاحبه لا يكاد يفعل الخير حبا للخير لكن ليذكر به . ابلغ في ذمك من مدحك بما ليس فيك لانه نبه على نقصك . وأبلغ فى مدحك من ذمك بما ليس فيك لانه نبه على فضلك ولقد انتصر لك من نفسه بذلك وباستهدافه الي الانكار واللائمة . لو علم الناقص نقصه لكان كاملا لا يخلو مخلوق من عيب فالسعيد من قلت عيوبه ودفنت . اكثر ما يكون ما لم تظن فالحزم هو التأهب لما يظن فسبحان من رتب ذلك ليري الانسان عجزه وافتقاره الى خالقه عز وجل

﴿ فصل في الاخوان والصداقة والنصيحة ﴾

استبقاك من عاتبك . وزهد فيك من استهان بشأنك . العتاب للصديق كالسبك للسبيكة فاما تصفوا واما تطير . من طوى من اخوانك سره الذى يعنيك دونك اخون لك ممن أفشى سرك . لان من أفشى سرك فانما خانك فقط ومن طوى سره دونك منهم فقد خانك واستخونك . لا ترغب فيمن يزهد فيك فتحصل على الخيبة والخزى . لا تزهد فيمن يرغب فيك فانه باب من أبواب الظلم وترك مقارضة الاحسان وهذا قبيح . من امتحن بان يخالط الناس فلا يلق توهمه كله الى من صحب . ولا يبن منه الا على انه عدو مناصب . ولا يصبح كل غداة الا وهو مترقب من غدر اخوانه . وسوء معاملتهم مثل ما يترقب من العدو المكاشف . فان سلم من ذلك فلله الحمد . وان كانت الاخرى ألفى متأهبا ولم يمت هما . ولا يستعمل مع ذلك سوء المعاملة فيلحق بذى الشرارة من الناس وأهل الخب منهم . ولكن ههنا طريق وعرة المسالك شاقة المتكلف يحتاج سالكها الى ان يكون اهدى من القطا واحذر من العقعق حتى يفارق الناس راحلا الى ربه تعالى وهى طريق الفوز فى الدين والدنيا وهى ان تكتم سر كل من دونك وان لا تفشى الي أحد من اخوانك ولا من غيرهم مايمكنك طيه بوجه ما من الوجوه وان كان أخص الناس بك . وان تفى لجميع من ائتمنك . ولا تأمن أحدا على شيء من أمرك تشفق عليه الا لضرورة لا بد منها فارتد حينئذ واجتهد وعلى الله الكفاية . وابذل فضل مالك وجاهك لمن سألك أولم يسألك ولكل من احتاج اليك وامكنك نفعه وان لم يمدك بالرغبة ولا تشعر نفسك انتظار

مقارضة على ذلك من غير ربك عز وجل . أول من احسنت اليه أول مضر
بك وساع عليك . فان ذوي التراكيب الخبيثة يبغضون لشدة الحسد كل
من أحسن اليهم اذا رأوه فى أعلى من أحوالهم . وعامل كل أحد في الانس
أحسن معاملة واصمر السلو عنه . لا تنصح على شرط القبول . ولا تشفع على
شرط الاجابة . ولا تهب على شرط الاثابة . لكن على سبيل استعمال
الفضل وتأدية ماعليك من النصيحة والشفاعة و بذل المعروف . حدالصداقة
الذى يدور على طرفي محدوده . هو ان يكون المرء يسوؤه ماساء الآخر ويسره
ماسره . فما سفل عن هذا فليس صديقا . ومن حمل هذه الصفة فهو صديق
فيما نصح فيه . وكل ناصح صديق . وليس كل صديق ناصحا . وحد
النصيحه . هو ان يسوء المرء ماضر الآخر ساء ذلك الآخر أم سره . وان
يسره مانفعه سر الآخر أم ساءه . فهذا شرط فى النصيحة زائد على شروط
الصداقة واقصى غايات الصداقة التى لامزيد عليها من شاركك بنفسه وبماله
لغير علة توجب ذلك وآثرك على من سواك . ليس شيء من الفضائل أشبه
بالرذائل من الاستكثار من الاخوان والاصدقاء فان ذلك فضيلة تامة متركبة
لانهم لا يكتسبون الا بالحلم والجود والصبر والوفاء والاستضلاع والمشاركة
والعفة وحسن الدفاع وتعلم العلم وبكل حالة محمودة ولسنا نعنى الاتباع أيام
الخدمة لانحرافهم عند انحراف الدنيا والمصادقين لبعض الاطماع . ولا
المتنادمين على الخمر والمجتمعين على المعاصى والقبائح ونيل اعراض الناس
والفضول وما لافائدة فيه فليس لهؤلاء اصدقاء لنيل بعضهم من بعض وانحرافهم
عند فقد تلك الرذائل التي جمعتهم . وانما نعنى اخوان الصفاء لغير معني الا

لله عز وجل . واذا حصلت عيوب الاستكثار منهم وما يلزمك من الحق لهم عند نكبة تعرض اما بموت أو بغرة أو فراق أو غدر من يغدر منهم كان السرور بهم لايفي بالحزن الممض من أجلهم . وليس في الرذائل أشبه بالفضائل من محبة المدح فانه في الوجه سخف ممن يرضى به الا انه قد ينتفع به في الاقصار عن الشر والتزيد من الخير وفي أن يرغب في ذلك الخلق الممدوح من سمعه . بعض أنواع النصيحة يشكل أمره من النميمة لان من سمع انسانا يذم آخر ظالما له أو يكيده فكتم ذلك عن المقول فيه والمكيد كان الكاتم لذلك ظالما مذموما . ثم ان أعلمه بذلك كان قد ولد على الذام والكائد مالم يبلغا استحقاقه بعد من الاذى فيكون ظالما له . وليس من الحق أن يقتص من الظالم بأكثر من قدر ظلمه . فالعاقل في مثل هذا يحفظ المقول فيه من القائل دون أن يبلغه ماقال لئلا يقع في الاسترسال اليه فيهلك . واما في الكيد فيحفظه من الوجه الذي يكاد منه بالطف مايقدر في الكتمان على الكائد وأبلغ ما يقدر في تحفيظ الكيد ولا يزد على هذا شيئا . واما النميمة فهي التبليغ لما سمع مما لاضرر فيه على المبلغ اليه . النصيحة مرتان فالاولي فرض وديانة . والثانية تنبيه وتذكير . والثالثة توبيخ وتقريع . وليس وراء ذلك الا الكام واللطام وربما أشد من ذلك من البغي والاذى اللهم الا في معاني الديانة فواجب على المرء ترداد النصح رضي المنصوح أو سخط تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذ . فاذا نصحت فانصح سرا لاجهارا أو بتعريض لا تصريح الا أن لا يفهم المنصوح تعريضك فلا بد من التصريح . ولا تنصح على شرط القبول منك فان تعديت هذه الوجوه فانت ظالم لاناصح

وطالب طاعة وملك لا مؤد حق ديانة واخوة . وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة ولكن حكم الامير مع رعيته والسيد مع عبيده . لا تكلف صديقك الا مثل ماتبذل له من نفسك فان طلبت أكثر فانت ظالم . ولا تكسب الا على شرط الفقد ولا تتولى الا على شرط العزل والا فانت مضر بنفسك خبيث السيرة . مساهجة أهل الاستئثار والا ستنعام والتغافل لهم ليس مروءة ولا فضيلة . بل مهانة وضعف وتضرية لهم على التمادى على ذلك الخلق المذموم وتغبيط لهم به وعون لهم على فعل ذلك السوء وانما تكون المسامحة مروءة لاهل الانصاف والمبادرين الى المسامحة والايثار . فهؤلاء على أهل الفضل أن يعاملوهم بمثل ذلك لاسيما ان كانت حاجتهم أمس وضرورتهم أشد (فان قال قائل) فاذا كان كلامك هذا موجبا لاسقاط المسامحة والتغافل للاخوان فيه استوى الصديق والعدو والاجنبى فى المماثلة فهذا فساد ظاهر (فنقول وبالله التوفيق) كلاما ماحض الا على المسامحة والتغافل والايثار ليس لاهل التغنم . لكن للصديق حقا . وان أردت معرفة وجه العمل فى هذا والوقوف على نهج الحق فان القصة التى توجب الاثرة من المرء على نفسه صديقه ينبغي لكل واحد من الصديقين ان يتأمل ذلك الامر . فايهما كان أمس حاجة فيه وأظهر ضرورة لديه فحكم الصداقة والمروءة تقتضى للآخر وتوجب عليه ان يؤثر على نفسه فى ذلك فان لم يفعل فهو متغنم مستكثر لا ينبغى أن يسامح البتة اذ ليس صديقا ولا أخا . فاما اذا استوت حاجتهما واتفقت ضرورتهما فحق الصداقة ههنا أن يسارع كل واحد الى الاثرة على نفسه فان فعلا هذا فهما صديقان وان بادر أحدهما الى ذلك ولم يبادر الآخر

اليه فان كانت عادته هذه فليس صديقا . ولا ينبغي أن يعامل معاملة الصداقة وان كان قد يبادر هو أيضا الى مثل هذا فى قصة أخري فهما صديقان . من أردت قضاء حاجته بعد أن سألك اياها أو أردت ابتداءه بقضائها فلا تعمل له الا ما يريد هو لا ما تريد أنت . والا فامسك فان تعديت هذا كنت مسيئا لا محسنا ومستحقا للوم منه ومن غيره لا للشكر ومقتضيا للعداوة لا للصداقة .

لا تنقل الى صديقك ما يؤلم نفسه . ولا ينتفع بمعرفته فهذا فعل الاراذل ولا تكتمه ما يستضر بجهله . فهذا فعل أهل الشر ولا يسرك ان تمدح بما ليس فيك ليعظم بل غم بذلك لان نقصك ينبه الناس عليه ويسمعهم اياه وسخرية منك وهزؤ بك ولا يرضى بهذا الا أحمق ضعيف العقل . ولا بأس ان ذممت بما ليس فيك بل افرح به فان فضلك ينبه الناس عليه . ولكن افرح ان كان فيك ما تستحق به المدح وسواء مدحت به أو لم تمدح واحزن اذا كان فيك ما تستحق به الذم فسواء ذممت به أو لم تذم

من سمع قائلا يقول فى امرأة صديقه قول سوء فلا يخبره بذلك أصلا لا سيما اذا كان القائل عيابا وقاعا في الناس سليط اللسان أو دافع مغرم عن نفسه يريد أن يكثر أمثاله في الناس . وهذا كثير موجود وبالجملة فلا يحدث الانسان الا بالحق وقول هذا القائل لا يدري أحق هو أم باطل الا انه فى الديانة عظيم فان سمع القول مستفيضا من جماعة وعلم أن أصل ذلك القول شائع وليس راجعا الى قول انسان واحد أو اطلع على حقيقته الا انه لا يقدر يوقف صديقه على ما وقف عليه هو فليخبره بذلك بينه وبينه برفق وليقل له : النساء كثير أو حصن منزلك وثقف أهلك أو أجتنب أمر كذا

وتحفظ من وجه كذا . فان قبل المنصوح وتحرز لحظ نفسه أصاب . وان رآه لا يتحفظ ولا يبالي أمسك ولم يعاوده بكلمة وتمادى على صداقته اياه فليس في ان لا يصدقه في قوله ما يوجب قطيعته . فان أطلع على حقيقة وقدر أن يوقف صديقه على جل ما وقف هو عليه من الحقيقة ففرض عليه أن يخبره بذلك ويوقفه على الجلية . فان غير فذلك وان رآه لا يغير اجتنب صحبته ولا خير فيه ولا بقية . ودخول رجل مستتر في منزل المرء دليل سوء لا يحتاج الي غيره . ودخول المرأة في منزل رجل على سبيل التستر مثل ذلك أيضا . وطلب دليلين أ كثر من ذلك سخف . وواجب أن يجتنب مثل هذه المرأة وفراقها على كل حال . وتمسكها لا يبعد عن الديانة . الناس في بعض أخلاقهم على تسع مراتب . فطائفة تمدح في الوجه وتذم في المغيب وهذه صفة أهل النفاق والعيابين وهذا خلق فاش في الناس غالب عليهم . وطائفه تذم في المشهد والمغيب وهذه صفة أهل السلاطة والوقاحة من العيابين . وطائفة تمدح في الوجه المغيب وهذه صفة أهل الملق والطمع . وطائفة تذم في المشهد وتمدح في المغيب وهذه صفة أهل السخف والنواكة . واما أهل الفضل فيمسكون عن المدح والذم في المشاهدة ويثنون بالخير في المغيب أو يمسكون عن الذم . واما العيابون البراء من النفاق والقحة فيمسكون عن المدح وعن الذم في المشهد والمغيب . ومن كل من أهل هذه الصفات قد شاهدناه وبلوناه . اذا نصحت ففي الخلاء وبكلام لين ولا تسند سب من تحدثه الى غيرك فتكون نماما فان خشنت كلامك في النصيحة فذلك اغراء وتنفير . وقد قال تعالى «فقولا له قولا لينا» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لاتنفر . وان نصحت بشرط القبول منك فانت ظالم ولعلك تخطيء في وجه نصحك فتكون مطالبا بقبول خطئك و بترك الصواب . لكل شيء فائدة ولقد انتفعت بمدحك أهل الجهل منفعة عظيمة وهي أنه توقد طبعي واحتدام خاطري وحمي فكري وتهيج نشاطي . فكان ذلك سببا الي تآليف عظيمة النفع . ولولا استثارتهم ساكني واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التآليف . لاتصاهر الى صديق ولا تبايعه . فما رأينا هذين العملين الا سببا للقطيعه . وان ظن أهل الجهل أن فيهما تأكيد للصلة فليس كذلك . لان هذين العقدين داعيان كل واحد الى طالب حظ نفسه . والمؤثرون على أنفسهم قليل جدا . فاذا اجتمع طالب كل امرئ بحظ نفسه وقعت المنازعه ومع وقوعها فساد المروؤة . وأسلم المصاهرة مغبة مصاهرة الاهلين بعضهم بعضا لان القرابة تقتضي العدل وان كرهوه لانهم مضطرون الى مالا انفكاك لهم منه من الاجتماع في النسب الذى توجب الطبيعة لكل أحد الذب عنه والحماية له

﴿ فصل فى أنواع المحبة ﴾

وقد سئلت عن تحقيق القول فيها وفى أنواعها . المحبة كلها جنس واحد ورسمها أنها الرغبة فى المحبوب وكراهة منافرته والرغبة في المقارضة منه بالمحبة . وانما قدر الناس انها تختلف من أجل اختلاف الاغراض فيها . وانما اختلفت الاغراض من أجل اختلاف الاطماع وتزايدها وانحسامها . فتكون المحبة لله عز وجل وفيه . وللاتفاق على بعض المطالب والاب والابن والقرابة والصديق وللسلطان ولذات الفراش وللمحسن والمأمول وللمعشوق . فهذا كله

جنس واحد اختلفت أنواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال . فلذلك اختلفت وجوه المحبة . وقد رأينا من مات أسفا على ولده كما يموت العاشق أسفا على معشوقه . و بلغنا عمن شهق من خوف الله تعالى ومحبته فمات . وتجد المرء يغار على سلطانه وعلى صديقه كما يغار على ذات فراشه وكما يغار العاشق على معشوقه. فأدنى أطماع المحبة ممن يحب الحظوة منه والرفعة لديه والزلفة عنده اذا لم تطمع فى أكثر . وهذه غاية أطماع المحبين لله. ثم يزيد الطمع فى المجالسة. ثم فى المحادثة والموازرة . وهذه أطماع المرء فى سلطانه وصديقه وذوى رحمه . وأقصى اطماع المحب ممن يحب المخالطة بالاعضاء اذا رجا ذلك ولذلك نجد المحب المفرط المحبة في ذات فراشه يرغب فى جماعها على هيئات شتى في أماكن مختلفة ليستكثر من الاتصال . ويدخل في هذا الباب الملامسة بالجسد والتقبيل . وقد يقع بعض هذا الطمع في الاب وفى ولده فيتعدى الى التقبيل والتعنيق . وكل ما ذكرناه انما هو على قدر الطمع . فاذا انحسم الطمع عن شيء ما لبعض الاسباب الموجبة له مالت النفس الى ما تطمع فيه . ونجد المقر بالرؤية شديد الحنين اليها عظيم الترويح نحوها لا يقنع بدرجة نحوها لانه يطمع فيها . وتجد المنكر لها لا تحن نفسه الى ذلك ولا يتمناه أصلا لانه لا يطمع فيه . وتجده يقتصر على الرضا والحلول في دار الكرامة فقط لانه لا تطمع نفسه فى أكثر . وتجد المستحل انكاح القرائب لا يقنع منهن بما يقنع المحرم لذلك ولا تقف محبته حيث تقف محبة من لا يطمع فى ذلك فتجد من يستحل نكاح ابنته وابنة أخيه كالمجوس واليهود لا يقف من محبتهما حيث تقف محبة المسلم بل نجدهما يتعشقان الابنة وابنة الاخ

كتعشق المسلم فيمن يطمع فى مخالطته بالجماع . ولا تجد مسلما يبلغ ذلك فيهما ولو أنهما أجمل من الشمس وكان هو أعهر الناس وأغزلهم. فان وجد ذلك فى الندرة فلا تجده الا من فاسد الدين قد زال عنه ذلك الرادع فانفسح له الامل وانفتح له باب الطمع ولا يؤمن من المسلم أن تفرط محبته لابنة عمه حتى تصير عشقا وحتى تتجاوز محبته لها محبته لابنته وابنة أخيه وان كانتا أجمل منها لانه يطمع من الوصول الى ابنة عمه حيث لا يطمع من الوصول الى ابنته وابنة أخيه . وتجد النصرانى قد أمن ذلك من نفسه فى ابنة عمه أيضا لانه لا يطمع منها فى ذلك ولا يأمن ذلك من نفسه فى أخته من الرضاعه لانه طامع بها فى شريعته . فلاح بهذا عيانا ما ذكرنا من أن المحبة كلها جنس واحد لكنها تختلف أنواعها على قدر اختلاف الاغراض فيها والا فطبائع البشر كلهم واحدة الا أن للعادة والاعتقاد الديني تأثيرا ظاهرا . ولسنا نقول ان الطمع له تأثير في هذا الفن وحده . لكنا نقول ان الطمع سبب الى كل هم حتى فى الاموال والاحوال فاننا نجد الانسان يموت جاره وخاله وصديقه وابن عمته وعمه لام وابن أخيه لام وجده أبو أمه وابن بنته فاذ لا مطمع له في ماله ارتفع عنه الهم لفوته عن يده وان جل خطره وعظم مقداره فلا سبيل الى أن يمر الاهتمام لشيء منه بباله حتى اذا مات له عصبة على بعد أو مولى على بعد وحدث له الطمع في ماله حدث له من الهم والاسف والغيظ والفكرة بفوت اليسير منه عن يده أمر عظيم . وهكذا في الاحوال فنجد الانسان من أهل الطبقة المتأخرة لا يهتم لانفاذ غيره أمور بلده دون أمره ولا لتقريب غيره وابعاده حتى اذا حدث له مطمع فى هذه المرتبة حدث

له من الهم والفكرة والغيظ أمر ربما قاده الى تلف نفسه وتلف دنياه وأخراه. فالطمع اذا أصل لكل ذل ولكل هم. وهو خلق سوء ذميم وضده نزاهة النفس وهذه صفة فاضلة مركبة من النجدة والجود والعدل والفهم لانه رأى قلة الفائدة في استعمال ضدها فاستعملها وكانت فيه نجدة أنتجت له عزة نفسه فتنزه. وكانت فيه طبيعة سخاوة نفس فلم يهتم لما فاته. وكانت فيه طبيعة عدل حببت اليه القناعة وقلة الطمع. فاذا نزاهة النفس متركبة من هذه الصفات فالطمع الذي هو ضدها متركب من الصفات المضادة لهذه الصفات الاربع وهي الجبن والشح والجور والجهل. والرغبة طمع مستوفي متزايد مستعمل ولولا الطمع ماذل أحد لاحد. وأخبرني أبو بكر بن أبي الفياض قال كتب عثمان بن محاسن على باب داره باستجة ياعثمان لا تطمع

(فصل من هذا الباب)

من امتحن بقرب من يكره. كمن امتحن ببعد من يحب ولا فرق اذا دعا المحب في السلو فاجابته مضمونة وهي دعوة مجابة. اقنع بمن عندك يقنع بك من عندك. السعيد في المحبة هو من ابتلي بمن يقدر أن يلقي عليه قفله ولا تلحقه في مواصلته تبعة من الله عز وجل ولا ملامة من الناس. وصلاح ذلك أن يتوافقا في المحبة. وتحريره أن يكونا خاليين من الملل فانه خلق سوء مبغض وتمامه نوم الايام عنهما مدة انتفاع بعضهما ببعض وأنى بذلك الا في الجنة. واما ضمانه بيقين فليس الا فيها فهي دار القرار. والا فلو حصل ذلك كله في الدنيا لم تؤمن الفجائع ولقطع العمر دون استيفاء اللذة

اذا ارتفعت الغيرة فايقن بارتفاع المحبة. الغيرة خلق فاضل متركب من

النجدة والعدل لان من عدل كره أن يتعدى الي حرمة غيره وأن يتعدى غيره الى حرمته . ومن كانت النجدة له طبعاً حدثت فيه عزة . ومن العزة تحدث الانفه من الاهتضام . أخبرني بعض من صحبناه في الدهر عن نفسه أنه ما عرف الغيرة قط حتى ابتلي بالمحبة فغار وكان هذا المخبر فاسد الطبع خبيث التركيب الا أنه كان من أهل الفهم والجود . درج المحبة خمسة . أولها الاستحسان وهو أن يتمثل الناظر صورة المنظور اليه حسنة أو يستحسن أخلاقه وهذا يدخل في باب التصادق ثم الاعجاب به وهو رغبة الناظر في المنظور اليه وفي قربه . ثم الالفة وهي الوحشة اليه اذا غاب . ثم الكلف وهو غلبة شغلت البال وهذا النوع يسمى في الغزل العشق . ثم الشغف وهو امتناع النوم والاكل والشرب الا اليسير من ذلك . وربما أدى ذلك الى المرض او الى التسوس أو الى الموت . وليس وراء هذا منزله في تناهي المحبة أصلا

(فصل)

كنا نظن أن العشق في ذوات الحركة والحدة من النساء أكثر فوجدنا الامر بخلاف ذلك وهو في الساكنة الحركات اكثر ما لم يكن ذلك السكون بلها

(فصل)

في أنواع صباحة الصور وقد سئلت عن تحقيق الكلام فيها (فقلت) الحلاوة رقة المحاسن ولطف الحركات وخفة الاشارات وقبول النفس لاعراض الصور وان لم تكن ثم صفات ظاهره القوام جمال كل صفة وحدتها وربه

جميل الصفات على انفراد كل صفة منها بارد الطلعة غير مليح ولا حسن ولا رائع ولا . حلو الروعة بهاء الاعضاء الظاهرة مع جمال فيها . وهي ايضا الفراهة . والعتق الحسن هو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر به عنه ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه . وهو برد مكسو على الوجه وأشرق يستميل القلوب نحوه فتجتمع الآراء على استحسانه وان لم تكن هناك صفات جميلة . فكل من رآه راقه واستحسنه وقبله حتى اذا تأملت الصفات أفرادا لم تر طائلا وكأنه شيء في نفس المرئي يجده نفس الرائي . وهذا أجل مراتب الصباحة . ثم تختلف الاهواء بعد هذا فمن مفضل للروعة ومن مفضل للحلاوة . وما وجدنا أحدا قط يفضل القوام المنفرد الملاحة على اجتماع شيء مما ذكرنا

(فصل فيما يتعامل به الناس في الاخلاق)

التلون المذموم هو التنقل من زي متكلف لا معنى له الى زي آخر مثله في التكلف لا معنى له ومن حال لا معنى لها الى حال لا معنى لها بلا سبب يوجب ذلك . فاما من استعمل من الزي ما أمكنه مما به اليه حاجة وترك التزيد مما لا تحتاج اليه . فهذا عين من عيون العقل والحكمة كبير . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدوة في كل خير والذي اثنى الله تعالى على خلقه والذي جمع الله فيه أشتات الفضائل بتمامها وأبعده عن كل نقص يعود المريض مع اصحابه راجلا في أقصى المدينة بلا خف ولا نعل ولا قلنسوة ولا عمامة . ويلبس الشعر اذا حضره وقد يلبس الوشي من الحبرات اذا حضره ولا يتكلف مالا يحتاج اليه . ولا يترك ما يحتاج اليه . يستغني

بما وجد عما لا يجد . ومرة يمشي راجلا حافيا . ومرة يلبس الخف ويركب البغلة الرائعة الشهباء . ومرة يركب الفرس عرياء . ومرة يركب الناقة ومرة يركب حمارا ويردف عليه بعض أصحابه . ومرة يأكل التمر دون خبز والخبز يابساً . ومرة يأكل العناق المشوية والبطيخ بالرطب والحلواء يأخذ القوه ويبذل الفصل ويترك مالا يحتاج اليه ولا يتكلف فوق مقدار الحاجة ولا يغضب لنفسه ولا يدع الغضب لربه عز وجل . الثبات الذى هو صحة العقد . والثبات الذى هو اللجاج يشتبهان استباهاً لا يفرق بينهما الا عارف بكيفية الاخلاق والفرق بينهما أن اللجاج هو ما كان على الباطل أو ما فعله الفاعل نصرا لما نشب فيه وقد لاح له فساده أو لم يلح له صوابه ولا فساده . وهذا مذموم وضده الانصاف . وأما الثبات الذى هو صحة العقد فانما يكون على الحق أو على ما اعتقده المرء حقاً مالم يلح له باطله وهذا محمود . وضده الاضطراب . وانما يلام على بعض هذين لانه ضيع تدبر ما ثبت عليه وترك البحث عما التزم أحق هو أم باطل . حد العقل استعمال الطاعات والفضائل وهذا الحد ينطوى فيه اجتناب المعاصى والرذائل . وقد نص الله تعالى في غير موضع من كتابه على ان من عصاه لا يعقل قال الله تعالى حاكيا عن قوم «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير» ثم قال تعالى مصدقا لهم «فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير» وحد الحمق استعمال المعاصى والرذائل . واما التعدى وقذف الحجارة والتخليط فى القول فانما هو جنون ومرار هايج واما الحمق فهو ضد العقل وهما ما بينا آنفا ولا واسطة بين العقل والحمق الا السخف . وحد السخف هو العمل والقول بما لا يحتاج اليه فى دين

ولا دنيا ولا حميد خلق مما ليس معصية ولا طاعة ولا عونا عليهما ولا فضيلة ولا رذيلة مؤذية ولكنه فن هذا القول وفضول العمل . فعلى قدر الاستكثار من هذين الامرين او التقلل منهما يستحق المرء اسم السخف . وقد يسخف المرء فى قصة ويعقل فى أخرى ويحمق فى ثالثة . وضد الجنون تمييز الاشياء ووجود القوة على التصرف فى المعارف والصناعات . وهذا الذى يسميه الاوائل النطق ولا واسطة بينهما . واما احكام امر الدنيا والتودد الى الناس بما وافقهم وصلحت عليه حال المتودد من باطل أو غيره أو عيب أو ما عداه والتحيل فى انماء المال وبعد الصيت وتسبيب الجاه بكل ما أمكن من معصية ورذيلة فليس عقلا . ولقد كان الذين صدقهم الله فى انهم لا يعقلون وأخبرنا بأنهم لا يعقلون سائسين لدنياهم مثمرين لاموالهم مدارين لملوكهم حافظين لرياستهم لكن هذا الخلق يسمى الدهاء . وضده العقل والسلامة . واما اذا كان السعى فيما ذكرنا بما فيه تصاون وأنفة فهو يسمى الحزم . وضده المنافى له التضييع واما الوقار ووضع الكلام موضعه والتوسط فى تدبير المعيشة ومسايرة الناس بالمسالمة . فهذه الاخلاق تسمى الرزانة . وهى ضد السخف . والوفاء مركب من العدل والجود والنجدة . لان الوفى رأى من الجور أن لا يقارض من وثق به أو من أحسن اليه فعدل فى ذلك ورأى ان يسمح بما جل ان يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ فجاد في ذلك ورأى ان يتجلد لما يتوقع من عاقبة الوفاء فشجع في ذلك

اصول الفضائل كلها اربعة عنها تتركب كل فضيلة وهى العدل والفهم والنجدة والجود

اصول الرذائل كلها اربعة عنها تتركب كل رديلة وهى اضداده الذى
دكرنا وهي الجور والجهل والجبن والشح

الامانة والعفة نوعان من انواع العدل والجود قال ابو محمد على بن احمد
مما قلته في الاخلاق

انما العقل اسا س فوقه الاخلاق سور
فحلى العقل بالعلم والا فهو بور
جاهل الاشياء اعمى لا يرى كيف يدور
وتمام العلم بالعد ل والا فهو زور
وزمام العدل بالجود والا فيجور
وملاك الجود بالنجدة والجبن غرور
عف ان كنت غيو ر مازنى قط غيور
وكمال الكل بالتقوي وقول الحق نور
ذى أصول الفضل عنها حدثت بعد الندور

ومما قلته أيضا

ذمام أصول جميع الفضائل عدل وفهم وجود وباس
فمن هذه ركبت غيرها فمن حازها فهو في الناس راس
كذا الراس فيه الامور التى باحساسها يكشف الالتباس

في النفس فضيلة تركبت من النجدة . وكذا الصبر . والحلم نوع
مفرد من أنواع النجدة . والقناعه فضيله مركبة من الجود والعدل . الشره
متولد عن الطمع . والطمع متولد عن الحسد . والحسد متولد عن الرغبة .

والرغبة متولدة عن الجور والشح والجهـل (الحرص) ويتولد من الحرص · رذائل عظيمه منها الذل والسرقة والغصب والزنا والقتل والعشق والهم بالفقر والمسئلة لما بايدى الناس · وانما فرقنا بين الحرص والطمع لان الحرص هو · اظهار ما استكن في النفس من الطمع · (والمدارة) فضيله متركبه من الحلم والصبر · الصدق مركب من العدل والنجدة · لا شيء أقبح من الـكذب وما ظنك بعيب يكون الـكفر نوعاً من انواعه فكل كفر كذب فالـكذب جنس الـكفر نوع تحته . (الـكذب) متولد من الجور والجبن · لان الجبن يولد مهانة النفس والـكذاب مهين النفس بعيد عن عزتها المحمودة · رأيت الناس فى كلامهم الذى هو فصل بينهم و بين الحمير والـكلاب والحشرات ينقسمون اقساما ثلاثة احدها) من لا يبالى فيما اتفق كلامه فيتكلم بكل ما سبق الى اسانه غير محقق نصر حق ولا انكار باطل وهذا هو الاغلب فى الناس (والثانى) ان يتكلم ناصرا لما وقع فى نفسه انه حق · ودافعاً لما توهم انه باطل غير محقق لطلب الحقيقة لـكن لجاجا فيما التزم وهذا كثير · وهو دون الاول (والثالث) واضع الـكلام فى موضعه وهذا اعز من الـكبريت الاحمر لقد طال همّ من غاظه الحق · اثنان عظمت راحتهما احدهما فى غاية المدح والآخر فى غاية الذم · وهما مطرح الدنيا ومطرح الحياء

من عجيب تدبير الله عز وجل العالم ان كل شيء اشتدت الحاجة اليه كان ذلك أهون له · وتأمل ذلك في الماء فما فوقه وكل شيء اشتد الغنى عنـه كان ذلك أعز له · وتأمل ذلك فى الياقوت الاحمر فما دونه الناس فيما يعانون كالماشى فى الفلاة كلما قطع أرضا بدت له أرضون · وكلما قصـد المرء سببا

حدثت له أسباب . صدق من قال ان العاقل في الدنيا متعوب . وصدق من قال انه فيها مستريح . فاما تعبه فيما يرى من انتشار الباطل وغلبة دولته وبما يحال بينه من اظهار الحق . واما راحته فمن كل ما يهتم به سائر الناس من فضول الدنيا . إياك وموافقة الجليس السيء ومساعدة أهل زمانك فيما يضرك في اخراك أو في دنياك وان قل فانك لا تستفيد بذلك الا الندامه حيث لا ينفعك الندم . وان يحمدك أمرؤ ساعدته بل يشمت بك . وأقل ذلك وهو المضمون انه لا يبالي سوء عاقبتك وفساد مغبتك . واياك ومخالفة الجليس ومعارضة أهل زمانك فى مالا يضرك في دنياك ولا فى اخراك وان قل فانك تستفيد بذلك الاذى والمنافرة والعداوة وربما أدى ذلك الى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلا ان لم يكن بد من اغضاب الناس واغضاب الله عز وجل ولم يكن لك مندوحة عن منافرة الخلق أو منافرة الحق فاغضب الناس ونافرهم . ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق

الاتّساء بالنبى صلى الله عليه وسلم في وعظه أهل الجهل والمعاصى والرذائل واجب فمن وعظ بالجفا والاكفهرار فقد أخطأ وتعدى طريقه صلى الله عليه وسلم وصار فى أكثر الامر مغويا للموعوظ بالتمادى على أمره لجاجا وحرازا ومغايظة للواعظ الجافى فيكون فى وعظه سيئا لا محسنا . ومن وعظ ببشر وتبسم ولين كانه مشير برأى ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقبح من الموعوظ فذلك أبلغ وانجع فى الموعظة . فان لم يتقبل فلينتقل الى الموعظة بالتحشيم وفى الخلاء . فان لم يقبل ففي حضرة من يستحى منه الموعوظ . فهذا أدب الله فى أمره بالقول اللين . وكان صلى الله عليه وسلم لا يواجه بالموعظة لكن

كان يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا . وقد أثني عليه الصلاة والسلام علي الرفق . وأمر بالتيسير . ونهى عن التنفير . وكان يتخول بالموعظة خوف الملل . وقال تعالى « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »

واما الغلظة والشدة فانما تجب في حد من حدود الله تعالى فلا لين فى ذلك للقادر على اقامة الحد خاصة . ومما ينجع في الوعظ أيضا الثناء بحضرة المسيء على من فعل خلاف فعله . فهذا داعية الى عمل الخير . وما أعلم لحب المدح فضلا الا هذا وحده وهو أن يقتدي به من يسمع الثناء ولهذا توجب ان تؤرخ الفضائل والرذائل لينفر سامعها عن القبيح المأثور عن غيره ويرغب فى الحسن المنقول عمن تقدمه ويتعظ بما سلف . وتأملت كل ما دون السماء وطالت فيه فكرتي . فوجدت كل شيء فيه من حي وغير حي من طبعه ان قوي ان يقلع عن غيره من الانواع كيفياته ويلبسه صفاته . فتري الفاضل يود لو كان الناس فضلاء وتري الناقص يود لو كان الناس نقصاء وترى كل من ذكر شيئا يحض عليه يقول وانا أفعل أمر كذا . وكل ذى مذهب يود لو كان الناس موافقين له وترى ذلك في العناصر اذا قوى بعضها على بعض أحاله الى نوعيته وتري ذلك فى تركيب الشجر وفى تغذي النبات والشجر بالماء ورطوبة الارض واحالتهما ذلك الى نوعيتهما فسبحان مخترع ذلك ومدبره لا اله الا هو

ومن عجيب قدرة الله تعالى كثرة الخلق ثم لانرى أحدا يشبه آخر شبها لا يكون بينهما فيه فرق . وقد سألت من طال عمره وبلغ الثمانين عاما هل رأى الصور فيما خلا مشبهة لهذه شبها واحدا . فقال لا بل لكل صورة فرقها

وهكذا كل ما في العالم يعرف ذلك من تدبر الآلات وجميع الاجسام المركبات وطال تفكر ربصره عليها . فانه حينئذ يميز ما بينها و يعرف بعضها من بعض بفروق فيها تعرفها النفس ولا يقدر أحد يعبر عنها بلسانه فسبحان العزيز الحكيم الذى لاتتناهى مقدوراته

(فصل في مداواة أدواء الاخلاق الفاسدة)

من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه . فان أعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الاخلاق الدنيئة . فان خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن أنه لا عيب فيه فليعلم أن مصيبته الى الابد وأنه أتم الناس نقصا وأعظمهم عيوبا وأضعفهم تمييزا . وأول ذلك أن ضعيف العقل جاهل . ولاعيب أشد من هذين لان العاقل هو من ميز عيوب نفسه فغالبها وسعى فى قمعها . والاحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه اما لقلة علمه وتمييزه وضعف فكرته . واما لانه يقدر أن عيوبه خصال وهذا أشد عيوب الارض . وفي الناس كثير يفخرون بالزنا واللياط والسرقة والظلم فيعجب بتأتي هذه النحوس له و بقوته على هذه المخازي (واعلم) يقينا أنه لا يسلم انسى من نقص حاشا الانبياء صلوات الله عليهم فمن خفيت عليه عيوب نفسه فقد سقط وصار من السخف والضعف والرذالة والخسة وضعف التمييز والعقل وقلة الفهم بحيث لا يتخلف عنه متخلف من الارذال و بحيث ليس تحته منزلة من الدناءة فليتدارك نفسه بالبحث عن عيوبه والاشتغال بذلك عن الاعجاب بها وعن عيوب غيره التي لا تضره لا في الدنيا ولا فى الآخره . وما أدري لسماع عيوب الناس خصلة الا الاتعاظ بما يسمع المرء منها فيجتنبها و يسعى فى ازالة ما فيه منها بحول الله تعالى وقوته (واما)

النطق بعيوب الناس فعيب كبير لا يسوغ أصلا والواجب اجتنابه الا في نصيحة من يتوقع عليه الاذى بمداخلة المعيب أو على سبيل تبكيت المعجب فقط فى وجهه لا خاف ظهره . ثم يقول للمعجب ارجع الى نفسك فاذا ميزت عيوبها فقد داويت عجبك . ولا تمثل بين نفسك وبين من هو أكثر عيوبا منها فتستسهل الرذائل وتكون مقلدا لاهل الشر . وقد ذم تقليد أهل الخير فكيف تقليد أهل الشر . لكن مثل بين نفسك وبين من هو أفضل منك فحينئذ يتلف عجبك وتفيق من هذا الداء القبيح الذى يولد عليك الاستخفاف بالناس وفيهم بلا شك من هو خير منك فاذا استخففت بهم بغير حق استخفوا بك بحق لان الله تعالى يقول «وجزاء سيئة سيئة مثلها» فتولد على نفسك الاستخفاف بك بل على الحقيقة مع مقت الله عز وجل وطمس ما فيك من فضيلة . فان أعجبت بعقلك فتفكر فى حال فكرة سوء تحل بخاطرك وفى أضاليل الامانى الطائفة بك . فانك تعلم لم نقص عقلك حينئذ . وان أعجبت بآرائك فتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها وفى كل رأى قدرته صوابا فخرج بخلاف تقديرك وأصاب غيرك وأخطأت أنت . فانك ان فعلت ذلك فاقل أحوالك أن يوازن سقوط رأيك صوابه فتخرج لا لك ولا عليك والاغلب ان خطأك أكثر من صوابك . وهكذا كل أحد من الناس بعد النبيين صلوات الله عليهم . وان أعجبت بخيرك فتفكر فى معاصيك وفى تقصيرك وفى معايبك ووجوهه فوالله لتجدن من ذلك ما يغلب على خيرك و يعفى على حسناتك فليطل همك حينئذ وابدل من العجب نقصا لنفسك . وان أعجبت بعلمك . فاعلم أنه لا خصلة لك فيه وأنه موهبة من الله مجردة وهبك اياها ربك

تعالى فلا تقابلها بما يسخطه فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها تولد عليك نسيان ماعلمت وحفظت . ولقد أخبرني عبد الملك بن طريف وهو من أهل العلم والذكاء واعتدال الاحوال وصحة البحث انه كان ذا حظ من الحفظ عظيم لا يكاد يمر على سمعه شيء يحتاج الى استعادته وانه ركب البحر فمر به فيه هول شديد أنساه أكثر ما كان يحفظ وأخل بقوة حفظه اخلالا شديدا لم يعاوده ذلك الذكاء بعد . وأنا أصابتني علة فافقت منها وقد ذهب ما كنت أحفظ الا ما لا قدر له . فما عاودته الا بعد أعوام (واعلم) ان كثيرا من أهل الحرص على العلم يجدون في القراءة والاكباب على الدرس والطلب ثم لا يرزقون منه حظا فليعلم ذو العلم أنه لو كان بالاكباب وحده لكان غيره فوقه فصح انه موهبة من الله تعالى فاي مكان للعجب ها هنا ما هذا الا موضع تواضع وشكر الله تعالى واستزادة من نعمه واستعاذة من سلبها . ثم تفكر أيضا في أن ماخفي عليك وجهلته من أنواع العلم ثم من أصناف علمك الذي تختص به فالذي أعجبت بنفاذك فيه أكثر مما تعلم من ذلك فاجعل مكان العجب استنقاصا لنفسك واستقصارا فهو أولى . وتفكر فيمن كان اعلم منك تجدهم كثيرا . فلتهن نفسك عندك حينئذ وتفكر في أخلالك بعلمك وانك لا تعمل بما علمت منه فعلمك عليك حجة حينئذ . ولقد كان أسلم لك لو لم تكن عالما (واعلم) أن الجاهل حينئذ أعقل منك واحسن حالا وأعذر فليسقط عجبك بالكلية . ثم لعل علمك الذي تعجب بنفاذك فيه من العلوم المتأخره التي لا كبير خصلة فيها كالشعر وما جرى مجراه . وانظر حينئذ الى من علمه أجل من علمك في مراتب الدنيا والاخره فتهون نفسك عليك . وان أعجبت

بشجاعتك فتفكر فيمن هو أشجع منك ـ ثم انظر في تلك النجدة التى منحك الله تعالى فيم صرفتها . فان كنت صرفتها فى معصية فانت أحمق لانك بذلت نفسك فيما ليس ثمنا لها . وان كنت صرفتها فى طاعة فقد أفسدتها بعجبك ثم تفكر في زوالها عنك بالشيخوخة وأنك ان عشت فستصير من عدد العيال وكالصبي ضعفا . على اني مارأيت العجب في طائفة أقل منه في أهل الشجاعة واستدللت بذلك على نزاهة أنفسهم ورفعتها وعلوها . وان أعجبت بجاهك في دنياك فتفكر فى مخالفيك وأندادك ونظرائك . ولعلهم أخساء وضعفاء سقاط (فاعلم) أنهم أمثالك فيما أنت فيه . ولعلهم ممن يستحى من التشبه بهم لفرط رذالتهم وخساستهم فى أنفسهم وأخلاقهم ومنابتهم فاستهن بكل منزلة شاركك فيها من ذكر . وان كنت مالك الارض كلها ولا خليفة عليك وهذا بعيد جدا فى الامكان . فما نعلم أحدا ملك معمور الارض كله على قلته وضيق ساحته بالاضافة الى غامرها فكيف اذا أضيف الى الفلك المحيط . فتفكر فيما قال ابن السماك للرشيد وقد دعا بحضرته بقدح فيه ماء ليشربه . فقال له يا أمير المؤمنين فلو منعت هذه الشربة بكم كنت ترضى أن تبتاعها فقال له الرشيد بملكي كله . قال يا أمير المؤمنين فلو منعت خروجها منك بكم كنت ترضي أن تفتدي من ذلك . قال بملكي كله . قال يا أمير المؤمنين أتغتبط بملك لا يساوى بولة ولا شربة ماء . وصدق ابن السماك رحمه الله وان كنت ملك المسلمين كلهم . فاعلم أن ملك السودان وهو رجل أسود رذل مكشوف العورة جاهل يملك أوسع من ملكك . فان قلت أنا أخذته بحق . فلعمرى ماأخذته بحق اذا استعملت فيه رذيلة العجب . واذا لم تعدل فيه فاستحى من

حالك فهي حالة رذالة لاحالة يجب العجب فيها • وان أعجبت بمالك فهذه أسوء مراتب العجب فانظر في كل ساقط خسيس فهو أغنى منك فلا تغتبط بحالة يفوقك فيها من ذكرت (واعلم) ان عجبك بالمال حمق لانه أحجار لا تنتفع بها الا أن تخرجها عن ملكك بنفقتها في وجهها فقط والمال أيضا غاد ورائح وربما زال عنك ورأيته بعينك في يد غيرك ولعل ذلك يكون عدوا . فالعجب بمثل هذا سخف والثقة به غرور وضعف • وان أعجبت بحسنك فتفكر فيما يولد عليك مما نستحي نحن من اتيانه وتستحي أنت منه اذا ذهب عنك بدخولك في السن وفيما ذكرنا كفاية . وان أعجبت بمدح اخوانك ففكر في ذم أعدائك اياك فحينئذ ينجلي عنك العجب . فان لم يكن لك عدو فلا خير فيك ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدو له . فليست الا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها عافانا الله . فان استحقرت عيوبك فتفكر فيها اوظهرت الي الناس وتمثل اطلاعهم عليها فحينئذ تخجل وتعرف قدر نقصك ان كانت لك مسكة من تمييز (واعلم) بأنك ان تعلمت كيفية تركيب الطبائع وتولد الاخلاق من امتزاج عناصرها المحمولة في النفس فستقف من ذلك وقوف يقين على أن فضائلك لا خصلة لك فيها وأنها منح من الله تعالى لو منحها غيرك لكان مثلك وأنك لو وكلت الى نفسك لعجزت وهلكت فاجعل بدل عجبك بها شكرا لواهبك اياها واشفاقا من زوالها • فقد تتغير الاخلاق الحميدة بالمرض وبالفقر وبالخوف وبالغضب وبالهرم • وارحم من منع ما منحت ولا تتعرض لزوال مابك من النعم بالتعاصي على واهبها تعالى وبان تجعل لنفسك فيما وهبت خصلة أو حقا فتقدر أنك استغنيت عن عصمته تلك عاجلا أو آجلا . ولقد

أصابتني علة شديدة ولدت لي ربوا في الطحال شـديدا فولد ذلك عليّ من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والنزق أمرا حاسبت نفسي فيه اذ أنكرت تبدل خلقي واشتد عجبي من مفارقتي لطبعي وصح عندي أن الطحال موضع الفرح اذا فسد تولد ضده . وان أعجبت بنسبك فهذه أسوأ من كل ماذكرناه لان هذا الذي أعجبت به لا فائدة له أصلا في دنيا ولا آخرة . وانظر هل يدفع عنك جوعة أو يستر لك عورة أو ينفعك في آخرتك . ثم انظر الي من يساهمك في نسبك وربما فيما هو أعلى منه ممن نالته ولادة الانبياء عليهم السلام . ثم ولادة الفضلاء من الصحابة والعلماء . ثم ولادة ملوك العجم من الاكاسرة والقياصرة ثم ولاده التبابعة وسائر ملوك الاسلام . فتأمل غبراتهم وبقاياهم ومن يدلي بمثل ماتدلي به من ذلك تجد أكثرهم أمثال الكلاب خساسة . وتلقهم في غاية السقوط والرذالة والتبدل والتحلي بالصفات المذمومة ولا تغتبط بمنزلة هم فيها نظراؤك أو فوقك . ثم لعل الآباء الذين تفخر بهم كانوا فساقا وشربة خمر ولاطة ومغنين ونوكى أطلقت الايام أيديهم بالظلم والجور فانتجوا ظلما وآثارا قبيحة تبقى عارهم بذلك الايام ويعظم اثمهم والندم عليها يوم الحساب . فان كان كذلك . فاعلم أن الذي أعجبت به من ذلك داخل في العيب والخزي والعار والشنار لا في الاعجاب . فان أعجبت بولادة الفضلاء اياك فما أخلا يدك من فضلهم ان لم تكن أنت فاضلا . وما أقل غناهم عنك في الدنيا والآخره ان لم تكن محسنا . والناس كلهم أولاد آدم الذي خلقه الله بيده وأسكنه جنته وأسجد له ملائكته . ولكن ما أقل نفعه لهم وفيهم كل معيب وكل فاسق وكل كافر . واذا فكر العاقل في أن فضل آبائه لا يقربه من ربه تعالى ولا يكسبه

وجاهة لم يحزها هو بسعده أو بفضله في نفسه ولا ماله . فأي معنى للاعجاب بما لا
منفعة فيه وهل المعجب بذلك الا كالمعجب بمال جاره وبجاه غيره وبفرس
لغيره سبق كان على رأسه لجامه كما تقول العامة في أمثالها . كالغبي يزهى بذكاء
أبيه . فان تمدى بك العجب الى الامتداح فقد تضاعف سقوطك لأنه قد
عجز عقلك عن مقارنة ما فيك من العجب . هذا ان امتدحت بحق فكيف ان
امتدحت بالكذب . وقد كان ابن نوح وأبو ابراهيم وأبو لهب عم النبي صلى
الله عليه وسلم أقرب الناس ومن أفضل خلق الله تعالى وممن الشرف كله في
اتباعهم فما انتفعوا بذلك . وقد كان فيمن ولد لغير رشدة من كان الغاية في
في رياسة الدنيا كزياد وأبي مسلم ومن كان نهاية في الفضل على الحقيقة كبعض
من نجل عن ذكره في مثل هذا الفصل ممن يتقرب الى الله تعالى بحبه والاقتداء
بحميد آثاره . وان أعجبت بقوة جسمك فتفكر في ان البغل والحمار والثور
أقوى منك واحمل للاثقال . وان أعجبت بخفتك فاعلم ان الكلب والارنب
يفوقانك في هذا الباب . فمن العجب العجيب اعجاب ناطق بخصلة يفوقه فيها غير
الناطق (واعلم) ان من قدر في نفسه عجبا أو ظن لها على سائر الناس فضلا
فلينظر الى صبره عند ما يدهمه من هم أو نكبة أو وجع أو دمل أو مصيبة
فان رأى نفسه قليلة الصبر . فليعلم أن جميع أهل البلاء من المجذومين وغيرهم
صابرين أفضل منه على تأخر طبقتهم في التمييز وان رأى نفسه صابرة . فليعلم
انه لم يأت بشيء يسبق فيه على ماذكرنا بل هو اما متأخر عنهم في ذلك
أو مساو لهم ولا مزيد . ثم لينظر الى سيرته وعدله أو جوره فيما خوله من
نعمة أو مال أو خول أو أتباع أو صحة أو جاه . فان وجد نفسه مقصرة فيما

يلزمه من الشكر لواهبه تعالى ووجدها حائفة فى العدل . فليعلم أن أهل العدل والشكر والسيرة الحسنة من المخولين أكثر مما هو فيه أفضل منه . فان رأى نفسه ملتزمة للعدل فالعادل بعيد عن العجب البتة لعلمه بموازين الاشياء ومقادير الاخلاق والتزامه التوسط الذى هو الاعتدال بين الطرفين المذمومين فان أعجب فلم يعدل بل قد مال الى جنبة الافراط المذمومة (واعلم) أن التعسف وسوء الملكة لمن خولك الله تعالى أمره من رقيق أو رعية يدلان على خساسة النفس ودناءة الهمة وضعف العقل . لان العاقل الرفيع النفس العالى الهمة انما يغالب أكفاءه في القوة ونظراءه فى المنعة . وأما الاستطالة على من لا يمكنه المعارضة فسقوط في الطبع ورذالة في النفس والخلق وعجز ومهانة . ومن فعل ذلك فهو بمنزلة من يتبجح بقتل جرذ أو بقتل برغوث أو بفرك قملة . وحسبك بهذا ضعة وخساسة (واعلم) ان رياضة الانفس أصعب من رياضة الاسد لان الاسد اذا سجنت فى البيوت التى تتخذها لها الملوك أمن شرها والنفس وان سجنت لم يؤمن شرها . العجب أصل يتفرع عنه التيه والزهو والكبر والنخوة والتعالى . وهذه أسماء واقعة على معان متقاربة ولذلك صعب الفرق بينها على أكثر الناس فقد يكون العجب لفضيلة في المعجب ظاهرة . فمن معجب بعلمه فيكفهر ويتعالى على الناس . ومن معجب بعمله فيترفع ويتعالى ومن معجب برأيه فيزهو على غيره . ومن معجب بنفسه فيتيه ومن معجب بجاهه وعلو حاله فيتكبر ويتنحى . وأقل مراتب المعجب أن تراه يتوقر عن الضحك في مواضع وعن خفة الحركات وعن الكلام الا فيما لابد له منه من أمور دنياه وعيب هذا أقل من عيب غيره . ولو فعل هذه

الافاعيل على سبيل الاقتصار على الواجبات وترك الفضول لكان ذلك فضلا وموجبا لحمدهم . ولكن انما يفعلون ذلك احتقارا للناس واعجابا بانفسهم فحصل لهم بذلك استحقاق الذم . وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى . حتى اذا أراد الامر ولم يكن هناك تمييز يحجب عن توفية العجب حقه ولا عقل جيد حدث عن ذلك ظهور الاستخفاف بالناس واحتقارهم بالكلام وفى المعاملة . حتى اذا أراد ذلك وضعف التمييز والعقل ترقى ذلك الى الاستطالة على الناس بالايدى واللسان والتحكم والطغيان واقتضاء الطاعة لنفسه والخضوع لها ان أمكنه ذلك . فان لم يقدر على ذلك امتدح بلسانه واقتصر على ذم الناس والاستهزاء بهم . وقد يكون العجب لغير معنى وبغير فضيلة فى المعجب . وهذا من عجيب مايقع فى هذا الباب وهو شيء تسميه عامتنا التمترك . وكثيرا مانراه فى النساء وفيمن عقله قريب من عقولهن من الرجال وهو عجب من ليس فيه خصلة أصلا لا علم ولا شجاعة ولا علو حال ولا نسب رفيع ولا مال يطغيه وهو يعلم مع ذلك أنه أصفر من ذلك كله لان هذه الامور لا يغالط فيها من يقذف بالحجارة وانما يغالط فيها من له أدني حظ منها . فربما يتوهم ان كان ضعيف العقل أنه قد بلغ الغاية القصوى منها . كمن له حظ من علم فهو يظن أنه عالم كامل . كمن له نسب مغرق في ظلمة . وتجدهم لم يكونوا أيضا رفعاء فى ظلمهم فتجده لو كان ابن فرعون ذى الاوتاد مازاد على اعجابه الذى فيه . أوله شيء من فروسية فهو يقدر أنه يهزم عليا ويأسر الزبير ويقتل خالدا . اوله شيء من جاه رذل فهو لا يرى الاسكندر على حال . أو يكون قويا على أن يكسب مايتوفر بيده

مؤملاءايفضل عن قوته . فلوأخذبقرني الشمس لم يزد على ماهو فيه . وليس يكثر العجب من هؤلاء وان كانوا عجبا لـكن ممن لاحظ له من علم أصـلا ولا نسب البتة ولا مال ولا جاه ولا نجدة بل تراه في كفالة غيره مهتضما لـكل من له أدنى طاقة وهو يعـلم أنه خال من كل ذلك وأنه لاحظ له فى شيء من ذلك . ثم هو مع ذلك فى حالة المزهو التياه . ولقـد تسببت الى سؤال بعضهم فى رفق ولين عن سبب علو نفسه واحتقاره الناس فما وجدت عنده مزيدا على أن قال لى أنا حر لست عبد أحد . فقلت له أكثر من تراه يشاركك في هذه الفضيلة فهم أحرار مثلك الا قوما من العبيـد هم أطول منك يدا وأمرهم نافذ عليك وعلى كثير من الاحرار . فلم أجد عنده زيادة فرجعت الى تفتيش أحوالهم ومراعاتها ففـكرت في ذلك سنين لا أعلم السبب الباعث لهم على هذا العجب الذى لاسبب له . فلم أزل أختبرماتنطوي عليه نفوسهم بما يبدو من أحوالهم ومن مرامهم في كلامهم فاستقر أمرهم على أنهم يقدرون أن عندهم فضل عقل وتمييز رأي أصيل لو أمكنتهم الايام من تصريفه لوجدوا فيه متسعاً ولا داروا الممالك الرفيعـة ولبان فضلهم على سائر الناس . ولو ملـكوا مالا لاحسنوا تصريفه فمن ههنا تسرب التيه اليهم وسرى العجب فيهم . وهذا مكان فيه للـكلام شعب عجيب ومعارضة معترضة . وهو أنه ليس شيء من الفضائل كان المرء منه أعرى قوى ظنه فى أنه استولى عليه واستمر يقينه فى أنه قد كمل فيه الا العقل والتمييز حتى انك تجد المجنون المطبق والسكران الطافح يسخران بالصحيح والجاهل الناقص يهزأ بالحـكماء وأفاضل العلماء والصبيان الصغار يتهكمون بالـكهول والسفهاء العيارين يستخفون بالعـقلاء

المتصاونين وضعفة النساء يستنقصن عقول أكابر الرجال وآراءهم. وبالجملة فكلما نقص العقل توهم صاحبه أنه أوفر الناس عقلا وأكمل تمييزا ولا يعرض هذا في سائر الفضائل فان العاري منها جملة يدري أنه عار منها وانما يدخل الغلط على من له أدنى حظ منها وان قل. فانه يتوهم حينئذ ان كان ضعيف التمييز أن أعلى الدرجة ماهو فيه. ودواء من ذكرنا الفقر والخمول ولا دواء لهم أنجع منه والا فدواؤهم وضررهم على الناس عظيم جدا. فلا تجدهم الا عيابين للناس وقاعين في الاعراض مستهزئين بالجميع مجانبين للحقائق مكبين على الفضول. وربما كانوا مع ذلك متعرضين للمشاتمة والمهارشة. وربما قصدوا الملاطمة والمضاربة عند أدنى سبب يعرض لهم. وقد يكون العجب كمينا في المرء حتى اذا حصل على أدنى مال أو جاه ظهر ذلك عليه وعجز عقله عن قمعه وستره. ومن ظريف مارأيت في بعض أهل الضعف أن منهم من يغلبه مايضمر من محبة ولده الصغير وامرأته حتى يصفها بالعقل في المحافل وحتى انه يقول هي أعقل مني وأنا أتبرك بوصيتها. وأما مدحه اياها بالجمال والحسن والعافية فكثير في أهل الضعف جدا حتى كأنه لو كان خاطبها مازاد على مايقول في ترغيب السامع في وصفها ولا يكون هذا الا في ضعيف العقل عار من العجب بنفسه (العاقل) من لا يفارق ماأوجبه عليه تمييزه. من بديع مايقع في الحسد قول الحاسد اذا سمع انسانا يغرب في علم ماهذا شيء بارد. لم يتقدم اليه ولا قاله قبله أحد فان سمع من يبين ماقد قاله غيره قال هذا بارد وقد قيل قبله وهذه طائفة سوء قد نصبت أنفسها للقعود على طريق العلم يصدون الناس عنها لتكثر نظراؤهم من الجهال ان الحكيم لاتنفعه حكمته عند الخبيث الطبع بل يظنه خبيثا مثله

وقد شاهدت أقواما ذوى طبائع ردية وقد تصور في أنفسهم الخبيثة أن الناس كلهم على مثل طبائعهم لا يصدقون أصلا بان أحدا هو سالم من رذائلهم بوجه من الوجوه وهذا أسوأ مايكون من فساد الطبع والبعد عن الفضل والخير ومن كانت هذه صفته لاترجى له معافاة أبدا و بالله التوفيق

العدل حصن يلجأ اليه كل خائف وذلك أنك ترى الظالم وغير الظالم اذا رأى من يريد ظلمه دعا الى العدل وأنكر الظلم حينئذ وذمه ولا يرى أحدا يذم من العدل . فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن فى ذلك الحصن الحصين

الاستهانة نوع من أنواع الخيانة اذ قد يخونك من لا يستهين بك ، ومن استهان بك فقد خانك الانصاف فكل مستهين خائن وليس كل خائن مستهينا . الاستهانة بالمتاع دليل على الاستهانة برب المتاع ، حالان يحسن فيهما مايقبح في غيرهما وهما المعاتبة والاعتذار فانه يحسن تعديد الايادى وذكر الاحسان وذلك غاية القبح فى ماعدا هاتين الحالتين

لاعيب على من مال بطبعه الى بعض القبائح ولو أنه أشد العيوب وأعظم الرذائل مالم يظهره بقول أو فعل . بل يكاد يكون أحمد ممن أعانه طبعه على الفضائل ولا تكون مغالبة الطبع الفاسد الا عن قوة عقل فاضل

الخيانة في الحرم أشد من الخيانة في الدماء ، العرض أعز على الكريم من المال . ينبغي للكريم أن يصون جسمه بماله و يصون نفسه بجسمه و يصون عرضه بنفسه و يصون دينه بعرضه ولا يصون بدينه شيئا أصلاً

الخيانة فى الاعراض أشد من الخيانة فى الاموال وبرهان ذلك أنه

يكاد يوجد من لا يخون فى العرض وان قل ذلك منه وكان من أهل الفضل . وأما الخيانة في الاموال وان قلت أو كثرت فـلا تـكون الا من رذل بعيـد عن الفضل

القياس في أحوال الناس قد يكذب في أكثر الامور و يبطل فى الاغلب واستعمال ماهذه صفته فى الدين لا يجوز . المقلد راض أن يغبن عقله ولعله مع ذلك يستعظم أن يغبن فى ماله فيخطيء فى الوجهين معاً .

لا يكره الغبن في ماله و يستعظمه الا لئيم الطبع دقيق الهمة مهين النفس

من جهل معرفة الفضائل فليعتمد على ماأمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فانه يحتوى على جميع الفضائل . رب مخوف كان التحرز منه سبب وقوعه . ورب سر كانت المبالغة فى طيه سبب انتشاره . و رب اعراض أبلغ في الاسترابة من ادامة النظر . وأصل ذلك كله الافراط الخارج عن حـد الاعتدال . الفضيلة وسيطة بين الافراط والتفريط فـكلا الطرفين مذموم والفضيلة بينهما محمودة حاشى العقل فانه لا افراط فيه

الخطأ في الحزم خير من الخطاء في التضييع . من العجائب أن الفضائل مستحسنة ومستثقلة والرذائل مستقبحة ومستخفة . من أراد الانصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فانه يلوح له وجه تعسفه .

حد الحزم معرفة الصديق من العدو . وغاية الخرق والضعف جهل العدو من الصديق . لا تسلم عدوك الظلم ولا تظلمه وساو فى ذلك بينه و بين الصديق وتحفظ منه واياك وتقريبه واعلاء قدره . فان هذا من فعل النوكى . من ساوى

بين عدوه وصديقه في التقريب والرفعة فلم يزد على أن زهد الناس في مودته وسهل عليهم عداوته ولم يزد على استخفاف عدوه له وتمكنه من مقاتله وافساد صديقه على نفسه والحاقه بجملة أعدائه

غاية الخير أن يسلم عدوك من ظلمك ومن تركك اياه للظلم واما تقريبه فمن شيم النوكى الذين قرب منهم التلف . وغاية الشر أن يسلم صديقك من ظلمك واما ابعاده فمن فعل من لا عقل له ومن كتب عليه الشقاء . ليس الحلم تقريب الاعداء ولكنه مسالمتهم مع التحفظ منهم . قلما رأيت أمرا أمكن فضيع الأوقات فلم يمكن بعد . محن الانسان فى دهره كثيرة وأعظمها محنته باهل نوعه من الانس . داء الانسان بالناس أعظم من دائه بالسباع الكلبة والافاعي الضارية لان التحفظ من كل ما ذكرنا ممكن ولا يمكن التحفظ من الانس أصلاً

الغالب على الناس : النفاق ومن العجب أنه لايجوز مع ذلك عندهم الا من نافقهم . لو قال قائل فى الطبائع مزية لان أطراف الاضداد تلتقى لم يبعد من الصدق وقد نجد نتائج الاضداد تتساوي فنجد المرء يبكي من الفرح ومن الحزن. ونجد فرط المودة يلتقي مع فرط البغضة في تتبع العثرات . وقد يكون ذلك سببا للقطيعة عند عدم الصبر والانصاف . كل من غلبت عليه طبيعة ما فانه وان بلغ الغاية من الحزم والحذر فانه مصروع اذا كويد من قبلها

كثرة المراتب تعلم صاحبها الكذب لكثرة ضرورته الي الاعتذار بالكذب فيضرى عليه ويستسهله . أعدل الشهود على المطبوع على الصدق .

وجهه لظهور الاسترابة عليه ان وقع في كذبة أوهم بها . وأعدل الشهود على الكذاب . لسانه لاضطرابه ونقض بعض كلامه بعضا . المصيبة في الصديق الناكث أعظم من المصيبة به

أشد الناس استسهالا للعيوب بلسانه هو أشدهم استسهالا لها بفعله . ويتبين ذلك في مشافهات أهل البذاء ومشاتمات الاراذل البالغين غاية الرذالة من الصناعات الخسيسة من الرجال والنساء كاهل التعيش بالزمر وكنس الحشوش والخادمين في المجاوز وكساكني دور الحمل المباحة لكراء الجماعات والساسة للدواب . فان كل من ذكرنا أشد الخلق رميا من بعضهم لبعض بالقبائح وأكثرهم عيبا بالفضائح وهم أوغل الناس فيها وأشهرهم بها

الالقاء يذهب السخائم فكان نظر العين للعين يصلح القلوب فلا يسوؤك التقاء صديقك بعدوك فان ذلك يفتر أمره عنده

أشد الاشياء على الناس الخوف والهم والمرض والفقر وأشدها كلها ايلاما للنفس الهم للفقد من المحبوب . وتوقع المكروه . ثم الخوف . ثم الفقر ودليل ذلك أن الفقر يستعجل ليطرد به الخوف فيبذل المرء ماله كله ليأمن . والخوف والفقر يستعجلان ليطرد بهما المرض فيغرر الانسان فى طلب الصحة ويبذل ماله فيها اذا أشفق من الموت ويعود عند تيقنه به لو بذل ماله كله ويسلم ويفيق والخوف يستسهل ليطرد به الهم فيغرر المرء بنفسه ليطرد الهم وأشد الناس كلها ألما وجع ملازم فى عضو ما بعينه . واما النفوس الكريمة فالذل عندها أشد من كل ما ذكرنا وهو أسهل المخوفات عند ذوى النفوس اللئيمة

﴿ فصل ﴾

من غرائب أخلاق النفس ينبغي للعاقل ان لايحكم بما يبدو له من استرحام الباكى المتظلم وتشكيه وشدة تلويه وتقلبه فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين أنه الظالم المتعـدى المفرط الظلم . ورأيت بعض المظلومين ساكن الكلام معدوم التشكي مظهرا لقلة المبالاة فيسبق الى نفس من لايحقق النظر أنه ظالم وهذا مكان ينبغى التثبت فيه ومغالبة ميل النفس جملة وان لايميل المرء مع الصفة التى ذكرناها ولاعليها . ولكن يقصد الانصاف بما يوجبه الحق على السواء ﴿ومن عجائب الاخلاق﴾ أن الغفلة مذمومة وأن استعمالها محمود وانما ذلك لان من هو مطبوع على الغفلة يستعملها فى غير موضعها وفى حيث يجب التحفظ وهى مغيب عن فهم الحقيقة . فدخلت تحت الجهل فذمت لذلك . وأما المتيقظ الطبع فانه لايضع الغفلة الا فى موضعها الذى يذم فيه البحث والتقصى ويمدح التغافل فهما للحقيقة واضرابا عن الطيش واستعمالا للحلم وتسكينا للمكروه فلذلك حمدت حالة التغافل وذمت الغفلة وكذلك القول فى اظهار الجزع وابطانه وفي اظهار الصبر وابطانه فان اظهار الجزع عند حلول المصائب مذموم لانه عجز مظهره عن ملك نفسه فأظهر أمرا لافائدة فيه بل هو مذموم في الشريعة وقاطع عما يلزم من الاعمال وعن التأهب لما يتوقع حلوله مما لعله أشنع من الامر الواقع الذى عنه حدث الجزع . فلما كان اظهار الجزع مذموما كان اظهار ضده محمودا وهو اظهار الصبر لانه ملك للنفس واطراح لما لافائدة فيه واقبال على مايعود وينتفع به في الحال وفي المستأنف

وأما استبطان الصبر فمذموم لانه ضعف فى الحس وقسوة فى النفس وقلة رحمة. وهذه أخلاق سوء لاتكون الا فى أهل الشر وخبث الطبيعة وفي النفوس السبعة الردية فلما كان ما ذكرنا يقبح كان ضده محمودا وهو استبطان الجزع لما فى ذلك من الرحمة والرقة والفهم لقدر الرزية فصح بهذا ان الاعتدال هو. ان يكون المرء جزوع النفس صبور الجسد بمعنى أنه لايظهر في وجهه ولا فى جوارحه شيء من دلائل الجزع وبالله التوفيق. لو علم ذوي الرأى الفاسد ما استضر به من فساد تدبيره فى السالف لا نجح بتركه استعماله فيما يستأنف

﴿ فصل فى مطامع النفس الى مايستر عنها من كلام مسموع ﴾
أو شيء يدنى الى المدح وبقاء الذكر

هذان أمران لايكاد يسلم منهما أحد الاسقاط الهمة جدا ومن راض نفسه الرياضة التامة وقمع قوة نفسه الغضبية قمعا كاملا أو عاني مداواة شره النفس الى سماع كلام يستتر به عنها أو رؤية شيء ا كتتم به دون ان يفكر فيما غاب عنها من هذا النوع فى غير موضعه الذى هو فيه بل في اقطار الارض المتباينة فان اهتم بكل ذلك فهو مجنون تام الجنون عديم عقل البتة وان لم يهتم لذلك فهل هذا الذى اختفى به عنه الا كسائر ماغاب عنه سواء بسواء ولا فرق . ثم ليزيد احتجاجه على هواه فليقل بلسان عقله لنفسه يانفس أرأيت ان لم تعلمى ان ههنا شيئا أخفي عليك أكنت تطلعين الى معرفة ذلك فلا بد من لا فليقل لنفسه فكرى الآن كما كنت تسكونين لولم تعلمى بان ههنا شيئا ستر عنك فتريحى الراحة وتطردى الهم وألم القلق وقبح صفة الشره وتلك

غنائم كثيرة وارباح جليلة واعراض فاضلة سنية يرغب العاقل فيها ولا يزهد فيها الا تام النقص . واما من علق وهمه وفكره بان يبعد اسمه فى البلاد ويبقي ذكره على الدهر فليفتكر فى نفسه وليقل لها يانفس أرأيت لوذكرت بافضل الذكر فى جميع أقطار المعمور أبد الأبد الى انقضاء الدهر ثم لم تبلغنى ذلك ولا عرفت به أكان فى ذلك سرورا وغبطة أم لا ولا بد من لا ولا سبيل الى غيرها البتة فاذا صح ذلك وتيقن فليقل يقينا أنه اذا مات ولا سبيل له الى علم انه يذكر أو انه لا يذكر وكذلك وان كان حيا اذا لم يبلغه ثم يفتكر أيضا في معنيين عظيمين (أحدهما) كثرة من خلا من الفضلاء من الانبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم أولا الذين لم يبق على أديم الارض لهم عند أحد من الناس اسم ولا رسم ولا خبر ولا أثر بوجه من الوجوه . ثم من الفضلاء الصالحين من أصحاب الانبياء السالفين ومن الفلاسفة والعلماء والاخيار وملوك الامم الداثرة و بناة المدن الخالية واتباع الملوك ايضا الذين انقطعت أخبارهم ولم يبق لهم عند أحد علم ولا لاحد بهم معرفة أصلا البتة . فهل ضر من كان فاضلا منهم ذلك أو نقص من فضائلهم أو طمس من محاسنهم أو حط درجتهم عند بارئهم عز وجل . ومن جهل هذا الامر فليعلم انه ليس فى شيء من الدنيا خبر عن ملوك من ملوك الاجيال السالفة أبعد مما بايدى الناس من تاريخ ملوك بني اسرائيل فقط . ثم ما بايدينا من تاريخ ملوك اليونان والفرس وكل ذلك لا يتجاوز الفي عام فأين ذكر من عمر الدنيا قبل هؤلاء أليس قد دثر وفنى وانقطع ونسى البتة وكذلك قال الله تعالى (ورسلا لم نقصصهم عليك) وقال تعالى (وقرونا بين ذلك كثيرا) وقال تعالى (والذين

من بعدهم لا يعلمهم الا الله) فهل الانسان وان ذكر برهة من الدهر الا كمن خلاقبل من الامم الغابرة الذين ذكروا ثم نسوا جملة . ثم ليفتكر الانسان في من ذكر بخير أو بشرّ هل يزيده ذلك عندالله عز وجل درجة أو يكسبه فضيلة لم يكن حازها بفعله أيام حياته فاذا كان هذا كما قلنا فالرغبة في الذكر رغبة غرور ولا معنى له ولا فائدة فيه أصلا لكن انما ينبغي ان يرغب الانسان في الاستكثار من الفضائل واعمال البر التي تستحق من هي فيه الذكر الجميل والثناء الحسن والمدح وحميد الصفة فهي التي تقربه من بارئه تعالي وتجعله مذكورا عنده عز وجلّ الذكر الذي ينفعه ويحصل علي بقاء فائدته ولا يبيد أبد الأبد وبالله تعالى التوفيق

(شكر المنعم فرض واجب) وانما ذلك بالمعاوضة له بمثل ما أحسن فأكثر ثم بالتهمم باموره بحسن الدفاع عنه . ثم بالوفاء له حيا وميتا لمن يتصل به من ساقة وأهل كذلك . ثم بالتمادي علي وده ونصيحته ونشر محاسنه بالصدق وطي مساويه ما دمت حيا وتوريث ذلك عقبك وأهل ودك . وليس من الشكر عونه علي الآثام وترك نصيحته فيما يوتغ به دينه ودنياه بل من عاون من أحسن اليه علي باطل فقد غشه وكفر احسانه وظلمه وجحد انعامه وأيضا فان احسان الله تعالى وانعامه على كل حال أعظم وأقدم واهنأ من نعمة كل منعم دونه عز وجل فهو تعالى الذي شق لنا الابصار الناظرة وفتق فينا الآذان السامعة ومنحنا الحواس الفاضلة ورزقنا النطق والتمييز اللذين بهما استأهلنا ان يخاطبنا وسخر لنا ما في السموات وما في الارض من الكواكب والعناصر ثم تفضل علينا من خلقه شيئا غير الملائكة المقدسين الذين هم عمار السموات فقط فاين تقع

نعم المنعمين من هذه النعم . فمن قدر ان يشكر محسنا اليه بمساعدته على باطل و بمحاباته فيما لا يجوز فقد كفر نعمة أعظم المنعمين وجحد احسان أجل المحسنين اليه ولم يشكر ولي الشكر حقا ولا حمد أهل الحمد أصلا وهو الله عز وجل ومن حال بين المحسن اليه و بين الباطل واقامه على مر الحق فقد شكره حقا وادى واجب حقه عليه مستوفى ولله الحمد أولا وآخرا على كل حال

(فصل فى حضور مجالس العلم)

اذا حضرت مجالس العلم فلا يكون حضورك الا حضور مستزيد علما واجرا لا حضور مستغن بما عندك طالبا عثرة تشنعها أوغريبة تشيعها فهذه أفعال الاراذل الذين لا يفلحون في العلم أبدا . فاذا حضرتها على هذه النية فقد حصلت خيرا على كل حال . وان لم تحضر على هذه النية فجلوسك في منزلك أروح لبدنك وأكرم لخلقك وأسلم لدينك . فاذا حضرتها كما ذكرنا فالتزم أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها وهى . اما تسكت سكوت الجهال فتحصل على أجر النية في المشاهدة وعلى الثناء عليك بقلة الفضول وعلى كرم المجالسة ومودة من تجالس . فان لم تفعل ذلك فاسأل سؤال المتعلم فتحصل على الاربع محاسن وعلى خامسة وهى استزادة العلم . وصفة سؤال المتعلم أن تسأل عما لا تدري فان السؤال عما تدرى سخف وقلة عقل وشغل لكلامك وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك وربما أدى الى اكتساب العداوة وهو بعد عين الفضول واياك من ان أن تراجع مراجعة العالم

وصفة ذلك . أن تعارض جوابه بما ينقصه نقضا بينا . فان لم يكن ذلك عندك ولم يكن عندك الا تكرار قولك أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة فأمسك .

فانك لا تحصل بتكرار ذلك على أجر زائد ولا على تعليم ولا تعلم بل على الغيظ لك ولخصمك والعداوة التي ربما أدت الى المضرات وحسبنا الله ونعم الوكيل

واذا ورد عليك خطاب بلسان أوهجمت على كلام في كتاب فاياك أن تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المبالغة قبل أن تتبين بطلانه ببرهان قاطع • وأيضا فلا تقبل عليه اقبال المصدق به المستحسن اياه قبل علمك فتظلم في كلا الوجهين جميعا ولكن اقبال من يريد حظ نفسه في فهم ماسمع ورأى لتزيد به علما وقبوله ان كان حسنا • أورده ان كان خطأ فمضمون لك ان فعلت ذلك الأجر الجزيل والحمد الكثير والفضل العميم

فرض على الناس تعلم الخير والعمل به فمن جمع الامرين استوفى الفضلين معا ومن علمه ولم يعمل به فقد أحسن في التعليم وأساء في ترك العمل به فخلط عملا صالحا وآخر سيئا وهو خير من آخر لم يعلمه ولم يعمل به • وهذا الذي لا خير فيه أمثل حالا وأقل ذما من آخر ينهى عن تعلم الخير ويصد عنه • ولو لم ينه عن الشر الا من ليس فيه منه شيء ولا أمر بالخير الا من استوعبه لما نهى أحد عن شر ولا أمر بخير بعد النبي صلى الله عليه وسلم • وحسبك بمن أدى رأيه الى هذا فسادا وسوء طبع وذم حال وبالله تعالى التوفيق

تمت كلمات ابن حزم والحمد لله تعالى وحده وصلاته وسلامه على أفضل خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعترته الطاهرين أبدا الى يوم الدين

﴿ كلمات قاسم بك أمين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال قاسم أمين: لا تصحبوا الاشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة منهم

أمر لا تدري متى يغشاك لا يمنعك مانع من ان تستعد له قبل ان يفجأك

الفضيلة والرذيلة يتنازعان السلطة على نفس الانسان في جميع أدوار حياته فتارة تخضع للاولى وتارة تتغلب عليها الثانية ولا يوجد رجل مهما بلغ من التربية والعلم يكون آمنا من السقوط يوما في الرذيلة كما لا يوجد رجل مهما أحاطت به الرذيلة الا وفيه استعداد لان يأتي يوما بافضل الاعمال

وحقيقة الامر ان أخلاق الانسان ليست شيئا يتم دفعة واحدة وليس لها حد تقف عنده انما هي في تحليل وتركيب في تكون مستمر يعتريها الانحلال زمنا وتعود بعده الى التماسك

لا يطلب الكمال من المرء وانما يطلب منه ان يكون في كل يوم أحسن منه في اليوم الذي مضى

لا تكمل أخلاق المرء الا اذا استوى عنده مدح الناس وذمهم اياه

النفس الضعيفة تنكمش امام الظالم وتهاب كل صاحب سلطة وبعكسها النفس القويه تجد في اظهار جرأتها على هؤلاء وأمثالهم منفذا يخرج منه ما يزيد

عندها من القوة عن حاجة حياتها

قلما توجد حقيقة لا يختلط بها بعض الحقيقة لذلك يجمل بنا ان نسمع كل قول

كل مذهب جديد يكره من أجل الحقيقة التي يحتوي عليها ومع ذلك فانه لا يعيش الا بهذه الحقيقة

أجمل الفعال تتغير وتفقد قيمتها اذا وقعت على شكل غير مستحسن

يكره الرجل الفاضل ولا تثمر افكاره مهما بلغت من العلم والحكمة اذا خاطب الناس مظهرا الاعجاب بنفسه والثقة في عصمته من الخطأ و يبغض الصديق المخلص اذا خالف الذوق السليم وحسن التربية في حديثه ومعاملته مع من يحبهم و يضيع عمل المحسن اذا اقتصر على بذل ماله ولم ينفق معه شيئا من قلبه فان الناس لا يسألون كم أعطى وانما يسألون كيف أعطى وفي الحقيقة ان طريقة العطاء هي في الغالب أحسن مما يعطي

كلما قدرت على ان أقوم بخدمة طلبها مني صديق أسفت على خسارته وعددته عدوا جديدا

أتعس البرية انسان ضاع ايمانه يدس الموت بسمه في حياته فيفسد عليه لذتها و ينغص عليه شهوتها

السآمة علامة النفس الشريفه

لا فرق بين من يفشي سرًّا أؤتمن عليه وبين من يختلس مالا أودع عنده

اذا رأيت الرأي العام يرمي أحد رجال الحكومة بالخيانة ساخطا عليه

شديد الرغبة فى سقوطه فاعلم انه غالبا رجل طاهر وعامل نافع

واذا ارأيت الرأي العام معاديا الكاتب وأعد له خصوما يتسابقون الى نقض أفكاره وهدم مذهبه وعلى الخصوص اذا رأيتهم ذهبوا في مطاعنهم الى السب والقذف فتحقق انه طعن الباطل طعنة مميتة ونصر عليه الحق

س ماهو الرأي العام

ج هو فى كثير من الاحوال هذا الجمهور الابله عدو التغيير . خادم الباطل ومعين الظلم

لو انتظر المصلحون دائما رضاء الرأي العام لما تغير العالم عما كان عليه من زمن آدم وحواء

صنف الطعام الذي أعجبك أو قطعة الغناء التى اطربتك أو ليلة الانس التى راقتك مع محبوبتك أو غروب الشمس البديع الذى خفق لاجله قلبك اذا قصدت تكراره فانك لا تستطيع أن تجدد السرور الذى شعرت به لاول مرة فلا تحاول أن تنال ذلك في اعادته

***

قبيل الغروب وقف بنا وابور النيل الذى كان يحملنا بجانب غيط مزروع وكان يشتغل فيه رجلان لمح أحدهما ثعبانا غليظا قصيرا ففر وهو يصيح (ثعبان ثعبان)

أما الآخر فتقدم اليه حاملا فأسه وضربه بها عدة ضربات حتى قضى عليه ثم تركه فى مكانه وأخذ سلاحه وعاد الى عمله ولم يتكلم في أثناء ذلك بكلمة وحينئذ تحرك زميله ومشي محترسا على أطراف قدميه شاخصا

الى الحيوان واقترب منه بطيئا بطيئا ولما وصل اليه لمسه بطرف الفأس التي كانت في يده وقلبه مرة ثم مرة أخرى حتى اذا تحقق انه مات صاح (يابن الكلب) وطعنه بالفأس طعنة قوية

ولما رأى الثعبان لا يتحرك أمسكه من ذنبه وصعد به الى الجسر وكان في هذه الساعة غامرا بالمارة فاستوقف الرجال والنساء والاطفال وصار يقص الوقائع عليهم قائلا (هجم علينا فقتلناه) وفي آخر الرواية يلقي الثعبان على هذا الجمع فيفرقهم وتصيح النساء ويهرب الاطفال فيضحك هذا البطل الباسل من هذا الجبن . ومازال كذلك حتى جاء الظلام فانصرفوا جميعا وهو في مقدمتهم حاملا فريسته — أليس هو ذلك الحال الذي يوجد دائما مصدرا لمظاهر الحياة الدنيا ترفع من رجال العمل عن حب الزهو وتقذف برجال القول بجراءة ولا حياء عندهم على اغتصاب أعمال غيرهم والتبجح بها ناسبونها لانفسهم

من أعظم ما يصاب به المرء أن يحرم من الذوق السليم . الذوق السليم هو هذا الاحساس الفطري الذي ينمو و يتهذب بالتربية . هو الشعاع اللطيف الذي يهدي صاحبه الى أن يقول و يفعل ما يناسب المقام و يجتنب مالا يناسبه .... وعكسه هو الذوق المصطلح عليه بين جماعة الظرفاء عندنا الذين هم على يقين من (ان الذوق لم يخرج من مصر)

ان الذي مدحك بما ليس فيك انما هو مخاطب غيرك ....

معاقبة الشر بالشر اضافة شر الي شر

رب كلمة يتجرعها حليم مخافة ما هو شر منها

اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لانه باستشارتك قد خرج

من عداوتك ودخل فى مودتك

لايغرنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعرا . . .

الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وترويج كل فكر

يقصد الناس التياترات لرؤية الحوادث الغريبة وسماع القصص المضحكة أو المبكية والعاقل يكتفي بما يراه حوله ويسمعه يتفرج مجانا على وقائع لم تبلغها مخيلة المؤلفين ولا مهارة الممثلين

علامة اللئيم كفرانه بنعمة السبب الرئيسى فى ايجاده في مركزه

المتكبر . خلو من المجد وعزة النفس . حقير بين قومه لفساد أخلاقه اتخذ الكبر حجابا وهميا ليغير مركزه فسقط من هوة جهله

مادام الطلاق متروكا الى رأي الزوج يستحيل ان يثبت في نفوس الرجال والنساء ان أساس الزواج فكرة الاستمرار والمعاشرة الى آخر الحياة

الزواج عندنا حيازة رجل لامرأة يوما أو شهرا أو سنة أو عدة سنين حيازة تنتهي بمجرد ارادة الرجل ولا فرق بينها والحيازة غير الشرعية ماجاز للرجل ان يدفع زوجته الى الباب ويقول لها اخرجي

المصريون الذين يفهمون ان للزواج معنى غير مجرد الاستمتاع الموقت هم تابعون لقانون الحب والامانه والاخلاص لنسائهم وأولادهم قانون أعلى من مبادىء حب الذات الذى وضعها بعض فقهائهم

كتبت والدة من قدماء المصريين على قبر ابنها (من انتهك حرمة هذا

القبر فليكن آخر من يموت ممن يحبهم) كلمة خرجت من نفس ذاقت آلام الحياة بجميع أنواعها ودرجاتها . كلمة يفزع من هولها كل من فارق عزيزا محبوبا

سئل . ح . بك مارأيك فى كتاب تحرير المرأة. فأجاب ردىء . . هل قرأته ، لا . اما يجب ان تطلع عليه قبل الحكم برداءته . ماقرأت ولا أقرأ كتابا يخالف رأيي

أخلاق جديدة عند الشبان . علمت ان بعضهم يحمل قوائم تشتمل على معلومات مفصلة عن البنات اللاتى يرشحون أنفسهم لخطبتهن وعلى الخصوص عن حالتهن المالية وحال بيوتهن فيرصدون فيها ماتملكه من الاطيان والاماكن وقيمة ماتساويه ومقدار ريعها وسن والدها والامراض التى يكون مصابا بها وعدد الورثة الذين يتركهم بعد موته الخ معلومات لايفكر في جمعها أشد المرابين احتياطا اذا اقترض مبلغا جسيما بدون تأمين

اخبرني موظف بالازهر لايخفي عليه شيء من أسرار الطلبة انه كلما أراد واحد ممن فسدت أخلاقه منهم ان يسير وراء شهوته ذهب الى أحد البيوت العمومية وعقد على امرأة بحضور شاهدين على مهر قدره ٥ قروش أو مايقرب من ذلك فاذا قضي شهوته طلقها وخرج معتقدا انه بريء من كل كذب

رأيت يوما في شارع الدواوين امرأة تمشي وامامها خادم يظهر من هيئتها انها من عائلة كبيرة طويلة القامة ممتلئة الجسم عمرها بين العشرين والثلاثين في وسطها حزام من الجلد مشدود على خصر رفيع وملاءة منطبقة على جسمها انطباقا تاما . الجزء الاسفل بارز عند الارداف ومرسوم تحت ستار الملاءة

باعتدال جميل . والقسم الاعلى غير مستور وانما الملاءة مشبوكة في رأسها ومسدولة على كتفيها وذراعيها الى المرفقين وعلى وجهها قطعة من الموسلين الرقيق أقل عرضا من الوجه . تحجب فاها وذقنها حجابا لطيفا شفافا كما تحجب قطع السحاب الرفيع شكل القمر وتترك العيون والحواجب والجبين والشعر الى منتصف الرأس مكشوفة وكانت تمشي خطوات مرتبة يهتز معها جسمها مائجا كما تفعل الراقصة على المرسح وكانت تخفض جفونها بحركة بطيئة وترفعها كذلك وترسل الى المارة نظرات دعابة ورخاوة وحنان واستسلام وبالاجمال كان مجموعها تحريضا مهيجا لحواسهم

بنتي الصغيره التي عمرها خمس سنين تظن انه يمكنها أن تأتي بنفسها كل ماتراني أعمله فاذا أمسكتها من يديها ورفعتها من الارض لاقبلها تقول لي انا أيضا أرفعك وتمسكني بيديها من أفخاذي وتجهد نفسها حتي يحتقن وجهها لتحملني كما حملتها . واذا رأت ان رجلا عبر قناة بوثبة تحفزت لتفعل مثله . تظن ان كل ماترغبه جائز سهل . كذلك الرجل الجاهل يخيل له انه كفء لاصعب الاعمال ومستحق لاعظم المناصب ومساو لارقى الرجال . يظن انه منح استعدادا فطريا تجعله قديرا على كل شيء وفعال لما يريد . . .

اذا صادقت رجلا وجب عليك أن تكون صديق صديقه ولا يجب عليك أن تكون عدو عدوه لان هذا انما يجب على خادمه ولا يجب على مماثل له .

من سعادة الحديث أن لا تتم له فضيلة في رذيلة . العقل يشير على النفس بترك القبيح فان لم تقبل منه لم يتركها لانه ليس فيه غضب لكنه يريها أصلح وقت ينبغي أن يفعل ذلك الشيء فيه وأحمد جهة يوجد بها لانه يعطي الخير دائما لمن

توكل به . اذا خدمت حازما فارضه في اسخاط حاشيته . واذا خدمت ضعيفا فاسخطه فى رضا اتباعه . التام الحرية من احتمل جنايات المعروف . اذا طلب المتناظران الحق لم يقتتلا فى المناظرة لان مطلوبهما واحد واذا طلبا الغلبة اقتتلا لان فيهما غلبتين وكل واحد من الخصمين يطلب ان يجذب صاحبه الى الغلبة التي فيه . اذا أراد الجائر الاساءة سام الرجل ما يعجز عنه فان استعفى حرك الغضب عليه وأطاعه فيه ومنعه الغضب من التفكر في العاقبة وفى هذا الوقت يحتجب العقل عن النفس وتكون النفس فى تلك الحال كالموضع المظلم الذي قد امتنع من اشراق الشمس عليه . اذا فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت . كان خوف الموسر أشد من خوف المعسر . الاسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموت والبخلاء يشمتون بالاسخياء عند الفقر . لا تمتط الامل والرجاء فى كل وقت وحال فانهما يسوقان الرجل فى أكثر الامر الي المكروه بسهولة . الغضب والشهوة وكل خلق من أخلاق النفس له مقدار يصلح فيه حال الشخص الذى يكون فيه فان زاد على ذلك اخرجه الى الشر لأن الغضب يشبه الملح الذى يطرح فى الاطعمة فان كان بقدر موافق أصلح الطعام وان كان زائدا أفسده وكذلك سائر القوى . اطلب فى الحياة العلم والمال تحز الرئاسة على الناس لأنهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بما تحسن والعامة تفضلك بما تملك . اللذة فى هذا العالم اجرة للخدمة ولولاها ما أكل الناس ولا جامعوا لأنه لو كان لا يجامع الا من طلب الولد ولا يأكل الا المشتاق الى البقاء بغير لذة لما فعل هذا أكثر الناس . النيات تحس بما فى النيات والقلوب تبصر القلوب ويعرف بعضها عن بعض بما فيها . أقبح ما يكون

الصدق فى السعاية والضيق فى العذر والبخل على من عجز لحريته عن المسألة والسطوة على من يؤمن شره • النفس الفاضله ترتفع عن الفرح وانما يعرض لنا في الشيء اذا نظرنا الى محاسنه دون مافيه من المحاسن والنفس الفاضلة تتأمل جميع ما فيه فتتكافأ فضائله و رذائله فى هذا العالم ولا يغلب عليها أحد هذين الخلقين • طاعة النفس للجسد مثل تخلية الفارس لفرسه اذا ضعف عن ضبطه حتي يعدل عن حاجته التى ركب لها و يشتغل اما بالحضر واما بالرعى وتجد النفس الجاهلة راحة فى ترك مجاهدتها كتلك الدابة وا كثر ملاذ الدنيا على هذا • حذق الملك بسياسة من دونه وحذق الرعية بسياسة من فوقها واما الكاتب والاولياء فحذقهم بسياسة من فوقهم ومن دونهم اذكى فطنة • انظر الى المتنصح والمتقرب اليك فانه ان دخل اليك من مضار الناس فاقبل منه ما انتفعت به واحذر منه وان دخل اليك من حيز العدل والصلاح فيها فاقبلها منه واستثمره . المرآت التى ينظر فيها الانسان الى أخلاقه هى الناس تتبين محاسنك من أوليائك منهم ومساويك من أعدائك فيهم • الحسن التام والقبيح التام فى هذا العالم انما هو فى تأليف قوى النفس وليس هو في تأليف أعضاء البدن والوجه . ليس يخسر العاقل على الصديق لانه ان كان فاضلاً تزين به وان كان سفيها حمي به عرضه من السفهاء وراض به احتماله • لا تمدح أحدا با كثر مما فيه فانه يصد نفسه فيكون ما زدته اياه نقصا لك • لا تركبن أمرا حتى تصلح فيه بين العقل والشهوة فان العقل وحده يخشى عليك والشهوة وحدها مردية لك . اظهر البشر للمنعم عليك ولغريمك فانهما يملكان رقك • حركة القوة الغضبية تلقاء الرهبة وحركة

القوة الفكرية تلقاء العلة و بها يساس الطبقات الثلاث من الناس اما الطبقة العليا فبالحجة واما الاوساط فبالرغبة. وأما السفلة فبالرهبة القحة في الانسان انما هي عمى فكره عن أكثر صورما يطرأ عليه فهو يمضيها مستهينا بها لانه لايتأمل مقاديرها . واذا قامت حجتك في المناظرة على كريم اكرمك ووقرك واذا قامت على خسيس آذاك واضطغنها لك . اذا أردت سوءا بعدوك فاستعرض أخلاقه فانك لاتجدها بأسرها كاملة ولا بد من ان يلحقها النقص فادخل الحيلة اليه من غميزته فانه لايفوتك . الحسود ظالم ضعفت يده عن انتزاع ماحسدك عليه فلما قصر عنك بعث اليك تأسفه . السخي يبخل عند جمع المال ويثقل عليه في ذلك الوقت المسألة لان طريق الجمع غير طريق البذل . لاتظن بكل من منع مايسأل انه بخيل فقد يمنع من طلب السلامة من الناس ومن يكره مداخلتهم له وانفتاح مالا يملك غلاقه منهم ومن يحتاج الى تكلف الاعتذار لهم والانتصار لنفسه منهم فيرى أن يغلق أبواب هذه السبل عنه . الفرق بين المعرفة بالشيء والعلم به ان المعرفة تذكرك ماقد نسيته والعلم به ان تثبت في نفسك من أمره مالم تتصوره قبل ذلك . اللجاج عسر انطباع المعقولات في النفس اما لفرط حدة تكون في الانسان واما لغلظ طبع فلا ينقاد للرأي . لاتذمن ماحمدت الامن بعد شدة الصبر عليه واستعمال حسن المداراة له لانك مرتهن بما فرط منك فيه . كلما قوى تخيل الحيوان زاده منفعته في طاعة الرأى وضرره في طاعة الهوى ولهذا صار الانسان الخير أفضل الحيوان والشرير أخسه . اذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره فانك تقف من مشورته على عدله وجوره وخيره . اذا اقتضتك النفس جميلا من أجل العادة فلا تفعله حتى يقضيك الرأى اياه فان

طاعة العادات مرذولة . انما صارت الشهوة أقرب الينا من الرأى لانا منذ نولد مع الشهوة وانما يتكامل الرأى فينا بعد مدة من مواليدنا فالشهوة أخص بنا منه

اذا كان العشق من اجل قوى النفس ثبت ولم يتغير . واذا كان من أجل الجسد تغير بتغير الصورة والمزاج

البخيل يعد جميع قاصديه اخوانا ورؤساء كراهة أن يقتضيه تفضلهم اياه احسانا اليهم والكريم يتأمر على قاصديه ليبذل لهم أجرة التفضيل

اذا ازدهاك ما تواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساويك ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح الناس لك

اذا أنجز رجل ما وعد من معروف فقد أحرز فضيلة الجود والصدق

اذا شاورك من الرؤساء من قد وقفت على فاقته الى رأيك فلا تكلمه كلام آمر ولا مشاور واخرج كلامك فى معرض مستفهم منه ماسنح لك وليرَ فيك الحاجة في عرض كلامك عليه وان حظك فى افادة أكثر من حظه فى قبول ما احتاج اليه منه

اذا طابق الكلام نية المتكلم حرك نية السامع وان خالفها لم يحسن موقعه ممن اريد به

الصوم لجام للنفس الغضبية ويروضها على طاعة النفس الناطقة لان رفع اليدين بالتكبير انما هو استعاذة من وقوع المكروه والركوع على الهيئة التي يقف بها من سمح بنفسه لمن يضرب عنقه والسجود القاء وجهه وأكرم اجزائه على الارض وهذه تروض القوة الغضبية على حسن الانقياد

اذا آثرت تأديب أحد فاقبضه عن الترف واشعره ببذاذة الهيئة فانه اذا

فارق زينة الجدة طلب أن تكون زينته فى نفسه ولسانه . ينبغي للعاقل أن يكون رقيبا على نفسه فلا يستعظم الاخطأه ويستصغر صوابه ولا يكثرثه لان الصواب داخل فى شرط انسانيته والخطأ مغيرلما استقر في نفوس الناس منه

اذا استدعيت المحبة من الناس فانزل دون منزلتك فى قلوبهم ولا تكشفن أحد عن زلل فان قلوب الناس وحشية لا تدين لمن كاشفها وان كان أقصد فى الصواب منها . يخل العالم بافادة مااقتناه من ثمار علمه وأصوله تحمله على الاقتصار عليه والامساك عن طلب غيره وافادته اياه تبعثه على طلب غيره مما يؤثر الاختصاص به

الفرق بين الابانة والبلاغة ان الابانة لا تكون الا لموجود والبلاغة تكون لموجود ومفروض . من أتى بشريعة أتى بسعادة علوية فمن خالف السعادة كان منحوسا . ليس طلاب الدنيا الذين يأخذون القوت منها وانما طلابها المحتكرون من حطامها

بحب الدنيا صمّت الاسماع عن الحكمة وعميت القلوب عن نور البصيرة

ماأبينّ فضيلة الموت اذا كان سببا للنقلة من عالم التعب الى عالم الراحة ومن عالم الفناء الى عالم البقاء . ينبغى للحازم ان يعدّ للامر الذى يلتمسه كل ما أوجب الرأى فى طلبه ولا يتكل فيه على الاسباب الخارجة عن سعيه مما يدعو اليه الامل وماجرت به العادة فانها ليست له وانما هى للاتفاق الذى لا يثق به الحزمة

من جلس فى ظل الحجة أمن العدل وقام عذره فيما يجنيه عليه الجائر ومن جلس فى ظل الملق لم يستقر به موضعه لكثرة تنقله وتصرفه مع الطباع

وعرفه الناس بالخديعة

الشره هو ان يسبق من كان فيه الى نصيب اللذة قبل نصيب الرأى في الشيء

اذا اسست موضعا وبالغت فى تقويمه فلا تنس حصة جملة العالم منه والا اضطرب عليك من حيث لاتدري . لما كانت المواهب فى عالم التركيب لاتقيم على حال واحدة ولا بد من وقوع الخلل فيها عاذ العقلاء بالصدقة فجعلوها نصيب الاحداث الواقعة وتسرعوا الي اخراجها فكان في ذلك أكبر الصلاح فيما صلح لهم

الفاقة فساد يقع في الطبقة من الناس كمثل الورم والقرحة فى العضو فان تداركه أهل تلك الطبقة فرفعوه عن الشخص سلمت طبقتهم وان اغفلوه سرى فى غير موضعه حتى تبطل تلك الطبقة

الفرح بالشيء علي حسب الثقة به . تبكيت الرجل بالذنب بعد العفو عنه ازراء بالصنيعة وانما يكون قبل هبة الجرم . الغضب كالتابع الرديء الذي يحركك أولا فى مصلحتك فان أطعته حركك فى مصلحته

الناس ثلاثة خير وشرير ومهين فالخير هو الذى اقتضيته قبض نفسه عنك ولسانه عن سوء الذكر لك وذكر حسنا ان كان تقدم منك . والشرير يقبض نفسه عنك ويطلق لسانه فى ذكر مساويك وربما تعدى الى التكذب عليك والمهين لا يقبض نفسه عنك ولا يزال متضرعا بعفوك ومودة هذا مقترنة باستقامة أمورك وصلاح أحوالك فاذا انتقلا انتقل عنك بمودته

اذا زاد ما نابك على مقدار استطاعتك فاستعن بمن هو أزيد من علة ما ناب

وتضرع كالواله الذى لايجد ممدلاً عمن سأله فان انصامه عنك على مقدار اخلاصك له

علة العلل تمسك نظام جملة العالم و به قوامه

الشريعة طاعة القيم على العالم والائتمار له فيما أصلح جملته وتفصيله

حلاوة الفضائل فى صدرها وحلاوة الرذائل فى وردها . الساعي أقرب الي الكذب مما سعى به

قد يتوهم الجاهل ان السعاية هى النصيحة وليس الامر على ذلك لان النصيحة صدقك الانسان عما فوضه اليك اذا لزمك الحق تعريفه اياه والسعاية صدقك الانسان عما اقترفه بعض أتباعه وأنت تريد الاضرار بالتابع والانتفاع بالمتبوع لاتقديم النصيحة لذلك الانسان

السخيف من حرك غضبه على صورة اللفظ والحصيف من حركه على حقيقة اللفظ والفعل ولم يحرك منه الا بمقدار مايمنعه من الرحمة لمن لا يستحقها

المرض الذى يحدث عن سبب باد في أكثر الاوقات هو أقل خطرا من المرض الذي لايعرف سببه

مسام جسم الانسان باسرها تنفتح بانفتاح الجفنين في اليقظة وتنضم بانضمامها فى النوم

من خدم فى حداثته الشهوة والغضب شق عليه فى زمان الشيخوخة مايلحقه من ضعف بدنه عن خدمة اللذة ومن خدم فى حداثته النفس الفكرية ومادلت عليه المعارف شق عليه زمان الشبيبة وجاهد القوي الباعثة على اللذات وكان في زمان الشيخوخه مستريحا

موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة

لا يضبط الكثير من لم يضبط نفسه الواحده

اذا أحببت أن يدوم حبك فاحسن أدبك

ينبغى للرجل أن ينظر الى وجهه فى المرآة فان كان حسنا استقبح أن يجمع بين قبيحين

موقع الصواب من الجهال مثل موقع الجهل من العقلاء

اذا ضاقت حالك فاحذر مشورة الافلاس فانه لا يشير بخير

اذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره تنكرت أخلاقه للناس

لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق منه وأنت لا تدرى

لا تفارق طاعة الرأى والصبر في كل أمورك فانك ان لم تحرز الحظ الذى تبغيه كنت قد أحرزت العذر

طبع المرء أصدق صديق له وليس يتركه لاحد من اخوانه

موت الصالح راحة لنفسه وموت الطالح راحة للناس

ينبغى للعاقل أن يتذكر عند طلاوة الغذاء مرارة الداء

ليكن خوفك من تدبيرك على عدوك فوق خوفك من تدبير عدوك عليك

حرام على الملك السكر لانه حارس المملكة ومن القبيح ان يحتاج الحارس الى من يحرسه

ينبغي للعاقل ان يتخير لمعروفه كما يتخير الارض الزكية لزرعه

الحر يرتفع بجميع من عرفه والنذل يرتفع بنفسه فقط

ينبغى ان يشفق على أولادنا من أشفقنا عليهم

زمان الجائر من الملوك اقصر من زمان العادل لان الجائر مفسد والعادل مصلح وافساد الشيء اسرع من اصلاحه

لا يزال الجائر مهملاً حتى يتخطى الى أركان العمارة ومباني الشريعة فاذا قصدها قربت مدته

نهاية جور الجائر ان يقصد من يلابسه ولا ينتفع به بالاذي فمع ذلك ترجى الراحة منه

كل خلق من الاخلاق فهو قد يكسد عند قوم الا الامانه فانها نافقة عند أصناف الناس يفضل بها من كانت فيه حتى ان الآنية اذا لم تنشف كانت أكثر ثمنا من غيرها

أشد الرجل في النعمة على حسب استكانته في المحنة • اصبر على سلطانك فلست با كبر شغله ولا بك قوام أمره • الظفر شافع المذنبين الى الكرماء

اذا حصل عدوك في يدك خرج من جملة أعدائك ودخل في عدة حشمك

من مدحك بما ليس فيك وهو راض عنك من الجميل ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك

الفضيلة تجمع أهلها على المحبة والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة ألا ترى ان الصادق يحب الصادق ويستنيم اليه وكذلك الثقة مع الثقة والحسن الخلق مع الحسن الخلق وترى الكاذب يبغض الكاذب والسارق يخاف السارق وكل واحد منهما حذر من مجاورة صاحبه

تبكيت الرجل بالذنب بعد العفو ازدراء بالصنيعة

الصلف وضع الرجل نفسه بمنزلة لا يستحقها ومطالبته نفسه والناس

بما يحب لتلك المنزلة . والتواضع حط الرجل نفسه الى منزلة دون منزلته لغير نقيصة

الفقير اذا تشبه بالغنى كان كمن به الورم و يوهم الناس انه سمين وهو يستر مابه من الورم

من ضرر الكذب ان صاحبه ينسي الصورة الحقيقية المحسوسة و يعتقد الصورة الوهمية الكاذبة فيبنى عليها أمره فيكون غشه قد أبداه بنفسه . وقريب من هذا المعنى ما يحكى عن أشعب الطماع قيل له ما بلغ من طمعك قال :

أوهم الصبيان ان في موضع عرسا فاذا تعادوا تبعتهم طمعا فى ذلك العرس

لا تعان ما قوى فساده فيحيلك الى الفساد قبل ان تحيله الي الصلاح

اذا قويت نفس الانسان انقطع الى الرأي واذا ضعفت انقطع الى البخت

لست تستدرك بغبن الناس شيئا من ذات يدك الا اضعت اضعافه من مروءتك

البخلاء عفوهم عن عظيم الجرم اسهل عليهم من المكافأة على صغير الآلاء

اذا أردت أن تعرف طبقتك من الناس فانظر الى من تحبه لغير علة

العلم صبغ النفس وليس يشرق صبغ الشي حتى ينظف من ادناسه

اذا نزلت باحدكم المصيبة فليفكر فى المصائب العظيمة التي حلت بكثير من الناس ليقلّ همه

الشعراء والكتاب والعلماء عندنا لا يعبرون عن أفكارهم في ما يكتبون وانما عقولهم هى مخازن تحفظ مايدخل فيها بالقراءة والسماع ومستودعات لافكار

غيرهم . يتعاملون بهذه البضاعة التي ليست لهم ولا يضيفون أو يعلقون عليها شيئا من أنفسهم . كل علمهم محصور في تكرار أفكار الغير التي حفظوها كما يحفظ الاطفال القرآن فاذا سمعهم العامه أوقرأوا كلامهم صفقوا ومدحوا وصاحوا . آه فلان ما أحلاه علان ليس في العالم مثله

طلب العلم عندنا وسيلة لمزاولة صناعة أو للالتحاف بوظيفة أي لكسب المال . أما حب الحقيقة والاستغراق في تحصيلها والشوق الى اكتشاف المجهول ومغالبة الصعوبة والاهتمام بترقية النفس . وبالاجمال التعلم للتعلم فلا فائدة فيه . والفائدة كل الفائدة في هذا الذي لا فائدة فيه

اذا قرأت الجرائد العربية تجدها جميعها متحدة في موضوعها متشابهة في تحريرها بحيث لا تكاد تشعر باختلاف بين احداها والاخرى واذا اجتمعت في اليوم بعشرين رجلا من معارفك تسمع من التسعة عشر الآخرين ما سمعته من الاول ولا تجد في الجريدة التي تقرأها أو تسمع من الصاحب الذي تقابله فكرة غريبة أو تعبيرا جديدا أو اسلوبا مبتدعا . لا تجد النابغة الذي يدهشك ويجذبك بعجائب أفكاره الصحيحة

يوجد عدة طرق للتعبير عن فكرة أحسنها طريقة واحدة . هي التي يجدها الكاتب المجيد . عقل الانسان المحدود لا يسع غير المحدود . وعلمه القليل لا يصل الى ادراك المجهول الذي لا نهاية له . ولذلك تراه متى ترك دائرة معلوماته الحسية دخل في عالم الظلام وسار كالاعمى يتخبط يمينا وشمالا لا فرق في ذلك بين الغبي الجاهل والذكي العالم . . . المقلد في ايمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس . والمنكر مجازف جاوز حد العقل والعلم . وأبغض

منهما من يخادع بدينه فيقول : ان كان الله غير موجود ماخسرت أكثر من غيري وان كان موجودا ربحت مع الرابحين لذلك أومن به . هذا هو المحتال الذي لا يصان حتى الاله من نصبه

في ميدان الحرب لا يكون ثبات الجأش الا عند الرجل الذي حضر وقائع سابقة ووقف امام العدو وقاتل يوما مهاجما ويوما مدافعا كذلك الحال في جهاد النفس لا تجد ثبات الجنان الا عند الرجل الذي عرض نفسه الى استهواء الشهوات وخدائع اللذات فاذا اختبرها بالتجربة وتغلب عليها بعد ذلك كسب قوة الحكم على نفسه التي هي الفضيلة الحقيقية خلافا للرجل الذي احتجب عن جواذب الشهوات فانه متى وجد امامه فرص مرعية فيها لا يقاوم سلطانها الا قليلا واذا سلم في نفسه مرة لا يستطيع الخلاص منها . عين الطماع حينما تبصر شيئا تشتهيه . لها نظرة تحيط به وتحويه برمته وتحوزه وتفعل في نفسك ما يفعله الاختطاف الحقيقي هذه النظرة رأيتها كثيرا عند المعتاد لعب القمار . . يوجد أناس متى رأيتهم أو سمعتهم تشعر بنقص في خلقهم كأنهم صنعوا بغاية السرعة فلم ينالوا حظهم من الاتقان المعهود ـ تجرى أمور الدنيا كأن القدرة الالهية لا تلاحظها أو كأنها تحابي الجبناء وتبارك في أعمالهم واعمارهم وأموالهم وذريتهم

أول الحب هزل وفي الغالب آخره جد ـ فاذا كانت علاقات الحبيبين ترمي الى اختلاط الارواح وتعانق النفوس واختيار الرفيق الوحيد كانت هذه الغاية الشريفة دليلاً على رقي الاخلاق وعلو الشعور ومنبعا مستمرا ينفجر منه الخير لهما ويفيض على الناس ـ لمَ ذلك ـ لان العشق هو الاخلاص وبذل النفس للغير وذلك هو كل ما تبتغيه التربية الادبية .

كلما أراد الانسان ان يعبر عن احساس حقيقي رأى بعد طول الجهد وكثرة الكلام انه قال شيئا عاديا أقل مما كان ينتظر ووجد ان أحسن ما في نفسه بقي فيها مختفيا

لتصوير احساس كامل وتمثيل أثره في صورة مطابقة للواقع يلزم استعمال ألفاظ غير المتداولة ألفاظ غير العتيقة البالية ـ يلزم اختراع ألفاظ جديده

لم أر بين جميع من عرفتهم شخصا يقرأ كل ماوقع تحت نظره من غير لحن. أليس هذا برهانا كافيا على وجوب اصلاح اللغة العربية ـ لي رأى في الاعراب اذكره هنا بوجه الاجمال وهو ان تبقي أواخر الكلمات ساكنة لاتتحرك باى عامل من العوامل . بهذه الطريقة وهي طريقة جميع اللغات الافرنكية واللغة التركية أيضا يمكن حذف قواعد النواصب والجوازم والحال والاشتغال الخ . بدون ان يترتب عليه اخلال باللغة اذ تبقى مفرداتها كما هى فى اللغات الاخرى يقرأ الانسان ليفهم . اما فى اللغة العربيه فانه يفهم ليقرأ فاذا أراد ان يقرأ الكلمة المركبة من هذه الاحرف الثلاثة (ع ل م) يمكنه ان يقرأها «عَلَم» أو «عِلْم» أو «عُلِم» أو «عَلَّم» أو «عَلِمَ» ولا يستطيع ان يختار واحدة من هذه الطرق الا بعد ان يفهم معنى الجملة فهى التى تعين النطق الصحيح . لذلك كانت القراءة عندنا من أصعب الفنون

لا أدرى ماهى غاية الكتاب الذين اذا أرادوا التعبير عن اختراع جديد يجهدون أنفسهم في البحث عن كلمة عربية تقابل الكلمة الاجنبية المصطلح عليها كاستعمالهم مثلاً السيارة بدلاً من الاتوموبيل ان كان المقصد تقريب المعنى الى الذهن فالكلمة الاجنبية التى اعتادها الناس تقوم بالوظيفة المطلوبة منها

على وجه أتم من الكلمة العربيه وان كان قصدهم اثبات ان اللغة العربيه لاتحتاج الى اللغات الاخرى فقد كلفوا أنفسهم أمرا مستحيلاً اذ لم توجد ولن توجد لغة مستقلة عن غيرها هنا مكتفية بنفسها ٠

يظهر ان باب الاجتهاد أغلق فى اللغة كما أقفل في التشريع فقد صار من المقرر بيننا ان اللغة العربيه وسعت وتسع كل شيء ـ لكي يكون هذا الاعتقاد صحيحا يجب ان نفرض ان هذه اللغة نتيجة معجزة فظهرت كاملة من يوم وجودها فى العالم وهذا ينا قضه قيام الدليل على ان جميع اللغات خاضعة لقوانين التحول والرقى العام وتابعة في أطوارها لسير الانسانية فهى اذن مظهر من مظاهر غريزتها الطبيعية التى لاتزال تنتج وتبدع كما فعلت في الماضين . ولا أدري لماذا يريد قومنا ان يستبعدوا من اللغة العربيه الكلمات الفصيحة وطرق التعبير الجميلة التى نسمعها احيانا فى لغة العامة بحجة انها لم ترد على لسان العرب ـ نحن خلفاء العرب فى لغتهم فكل ما اخترعته ملكاتنا فى اللغة يعدُّ عربيا بالطبع

كان المؤلفون فى القرون الوسطي هم ابن سينا وابن رشد وابن مسكويه والفرابي واضرابهم ٠ كانت اللغة العربية لغة الادب والعلم والفلسفة لذلك كانت أوسع وأغنى لغات العالم ثم مرت عليها القرون الطويلة وهى واقفة مكانها لاتتحرك خطوة الى الامام واللغة الاوربية أخذت تتحول وترتقى كلما تقدم أهلها في الآداب والعلوم حتى أصبحت النموذج المطلوب في السهولة والايضاح والدقة والحركة والرشاقة . صارت أنفس جوهرة فى تاج التمدن الحديث ٠ رغما عن هذا قد أجمع قومنا على ان لغتنا لاتزاد حتى الآن حافظة مركزها الاول ويزعمون انها سيدة اللغات كما أجمع عامتنا على ان مصر أم الدنيا

زارني أشهر أديب يكتب الآن في مصر باللغة العربية وكان في يدي كتاب فرنسوي يشتمل على حكم ومواعظ موضوعة في جمل مستقلة لا ارتباط بينها فقرأ فيه عبارة هذه ترجمتها : (اني أخشى ما أتمنى) فقال كيف ذلك ـ لا بد أن يكون في الطبع خطأ ـ قلت لا . قال فسر لي حينئذ كيف يخشى الانسان الشيء الذي يتمناه . فاجبته كل انسان يخشى ما يكره وليس كل انسان يخشى ما يتمني وانما هذه صفة بها ذو والنفوس الممتازة وتكون سببا لشقائهم : يرى الواحد منهم وردة جميلة في البستان فيتمنى أن يقطفها ولكن يبعدعنها ما حولها من الشوك ويشتهي تفاحة جميلة تعجبه بلونها البديع ورائحتها الزكية ولكنه يخشي الدودة الكبيرة التي ربما تصادف اسنانه وقت أن يعض عليها فيلقيها على الارض وهو يشتهيها :

يلاقي المرأة التي كان يراها في مخيلته مثال الجمال فيود أن يلقي نفسه تحت أقدامها ويعطيها قلبه وحياته ولكنه يخشى أن تكون كاذبة كغيرها ـ يتمنى صديقا ويخشى أن يجده خائنا يتمنى ... يتمنى كل شيء ويخشى أن لا يجد فيه كل ما تخيله وهكذا يقضي حياته بين الامل والخوف من تحققه وتنتهي به الحال الى انه يرى أن السلامة في ترك الاماني

يوجد كلمات الصقها الكتاب بعضها ببعض من قرون طويلة بحيث تكون احداها تكون الاخرى حتى ملت طول العشرة كالعالم العلامة والحسيب النسيب والصديق الحميم والسيدة المصونة . فاما اطلاق يرد عليها حرية الاقتران بكلمات أخرى وأما على الاقل حيلولة موقتة تستريح في أثنائها من هذه الشركة القهرية ـ في البلاد الحرة قد يجاهر الانسان بان لا وطن له ويكفر بالله ورسله

ويطعن على شرائع قومه وآدابهم وعاداتهم ويهزأ بالمبادىء التى تقوم عليها حياتهم العائلية والاجتماعية . يقول ويكتب ماشاء فى ذلك ولا يفكر أحد ولو كان من المخصومه في الرأى أن ينقص شيئا من احترامه لشخصه متى كان صادرا عن نية حسنة واعتقاد صحيح - كم من الزمن يمر على مصر قبل أن تبلغ هذه الدرجة من الحريه

يفعل الكلام المطبوع في نفس الجاهل فعل السحر فيستولى على عقله فاذا روى عن كتاب قال لنفى كل شبهة هذا مدون فى الكتب واذا نقل عن جريدة قال هذا مذكور فى الجرنال فاذا اعترض عليه بان الخبر لا يحتمل الصدق وان الخطأ جائز على صاحب الكتاب أو الجرنال أجابك نعم ولكن لا بد أن يكون الكاتب تحرى عن الحقيقة قبل النشر لان صناعته تقضي عليه بذلك

الكاتب الحقيقى يجتنب استعمال المترادفات فلا يأتى باسمين مختلفين لمعنى واحد في مكان واحد لان ذلك يكون حشوا مستهجنا ودليلاً على فقر فى الفكر والخيال ولكن اذا كان المقال يستدعى ذكر عدة معان متقاربة يجمعها معنى واحد فاستعمال المترادفات الموضوعة لها حسن وقد يكون مطلوبا اذا كان لازما لتسهيل فهمها أو اظهار الفروق التى بينها . كذلك الكاتب المجيد لا يضع صفة بجانب الاسم الا اذا اقتضى الحال ان يميزه بصفة مطابقة للواقع على ان الاعتماد على ذكر الصفات والمبالغة فيها بقصد التأثير هو أقل درجات الكتابة ويفضلها بكثير طريقه الكتاب الغربيين الذين يعولون فى الوصف على ذكر الوقائع وشرح ظروفها وتحليلها تحليلاً دقيقا أو تشريح الانسان وفتح جوفه وكشف ماخفى من اعصابه وسبر غور احشائه والتسمع

على نفسه لادراك مايدب فيها من النزعات والخواطر والاميال والحركات ويوصف منظر الشيء بهيكله التام باجزائه كلها ليحدث في نفس القاريء والسامع صورة كاملة وشعورا تاما واثرا باقيا

من الذي يحب صاحبه أو قريبه أو مواطنه أكثر — أهو الذي يكشف الستار عن عيوبه ويظهرها كما هي — أم الذي يغض البصر عن نقائصه ويخفيها عليه ويمدحه ليسره . لاشك الاول هو الصديق المكروه والثاني هو العدو المحبوب — اعرف قضاة حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعدل

ليس بمصر عالم محيط بجميع العلم الانساني وليس بيننا من اختص بفرع مخصوص في العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع مايتعلق به ولم يظهر منا فيلسوف اكتسب شهرة عامة ولا كاتب ذاع صيته أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدين الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا أعدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والسياسيون المشعوذون — والحقيقة المجردة عن الاوهام والاغراض ان كل ماوجد في مصر من الحرية والنظام والعدل لم يوجد ولم يستمر الا بعمل الاجنبي

لاشيء يشبه العشق في عنفوان نشأته . اذا هجم هذا المستبد القاهر ارتعدت منه الفرائص وحصر اللسان واختبل العقل وخلا الطريق امامه فوصل الى القلب بوثبة واحدة أو بوثبات متعددة . ومتى احتله تمدد فيه وانتشر وملاءه برمته فلا يقبل منافسا أو منازعا أو شريكا أو ضيفا بجانبه . بل يستأثر وحده بالنفس فيلهيها عن شواغلها وينسيها حاجاتها . ويفرق بينها وبين أميالها . ويذهب همومها واحزانها ولا يطمئن الا اذا قطعت العلاقات مع غيره واصبحت كلها له كانها ولدت معه

في يوم واحد وتفنى معه في ساعة واحدة لا تعرف ماضيها ولا تبالي بمستقبلها ·
فاذا تمكن منها على هـذه الحال وقبض على زمامها رضيت بعجزها وشكرته
أسرها واغتبطت برقيها ووجـدت على اتصالها بنفس أخرى قوة وفرحا
وسعادة لم تر مثلها

العاشق عنده ما يكفيه سماؤه صافية مهما ترا كمت عليها السحب ·
ومائدته فاخرة وان لم يكن عليها غير الخبز والملح · تنتابه الحوادث ولا تترك
به أثرا لانه لا يعبأ بها سارة أو ضارة ويقاوم الحياة بجرأة عجيبة لانه يشعر
بان في جسمه روحين وفي صدره قلبين ـ ان كان من الوجود انسان يستحق
ان يحسد على نعمته فهو العاشق ـ كل عشق شريف فان كان بين شريفين
زاد في قيمتهما ورفع من قـدرهما · وان كان بين وضيعين أكسبهما شرفا
وقتيا حتى اذا زال العشق سقطت قيمتهـما وانحطت مرتبتهما ورجعا الى
أصلهما

يشعر العاشق بلذة ساحرة اذا كان محبوبا واذا كان غـير محبوب فيجد
في المه لذة أخرى مشابهة السكر من تنبه في الاعصاب وسرعة في دورة الدم
وانفعالات شديدة في النفس وبالاجمال من زيادة محسوسـة في مبلغ الحياة
كلاعب القمار يتمتع بارضاء شهوته في الربح والخساره ·

ليس ما يكتب على أبواب الامكنة دائما صحيحا · فقد يكون بين سكان
البيمارستان من هو أعقل من هذا الذي تراه سائرا في الطريق متمتعا بحريته ·
كذلك بيوت المومسات قد تقفل أبوابها على نساء فيهن من هي أوفر حشمة وأدبا
وأكثر بعدا عن الشهوة من كثير من المخدرات اللاتي تنحني الرؤوس امامهن ·

من اختياري لارباب الافكار الذين اختلطت بهم يظهر لي ان الحمية عندهم سطحية لاتذ كيها نار توقد في القلب ـ حمية الفاظ متى انتشرت عادت هباء لاتترك أثرا بعدها ـ زارني أحد أصحابي وكان يرافقه شاب من أقاربه أتم في هذه السنة دروسه وطلب مني أن أتوسط له ليحصل على وظيفة فمددت يدي الى هذا الشاب مسرورا فوضع فيها يدا فاترة وسحبها بسرعة . أشرت عليه بالجلوس على كرسي فاستحسن ان يجلس على (الكنبا) التي أردت ان أخص قريبه بها وقبل ان يجلس شمر بنطلونه بعد ان تحقق من انتظام ثناياه ثم قعد و وضع رجلا على الاخرى. سألته عن الوظيفة التي يرغبها فعلمت انه يريد ان يعين في وظيفة مرتبها خمسة وعشرون جنيها في الشهر فافهمته انه يطلب المحال وان لوائح الحكومة لا تجيز هذا الطلب فلم يقنع واخذ يقيم الادلة على ان الحكومة اذا شاءت يمكنها ان تعينه بطريقة استثنائية فقلت له ولكن ماهي المسوغات التي تحمل الحكومة على تقرير الاستثناء الذي تطلب ان تتمتع به فقال كفاءتي فقطعت عليه الكلام وكررت له ان طلبه غير مقبول فحول وجهه عني واخذ يفتل شاربه بحركة عصبية ثم التفت الي وقال (ممنون نهارك سعيد) وخرج وتبعه قريبه بعد ان اعتذر لي بكلمتين فلما خرجا سرح فكري فيما سمعت و رأيت في حالة هذا الشاب و رددت على خاطري أحوال أخرى وقعت من أمثاله معي ومع غيري أحوال تنذر بوجود حالة أدبية سيئة عند الكثير من شباننا تجعلهم صنفا خاصا لا يشبهون معها شبيبة الجيل الماضي التي عاشرت كثيرا من أفرادها ولا الشبيبة التي عرفتها في البلاد الغربية واختلطت بها زمنا .

هذه الواقعه حركت في نفسي حياتي الماضية ومثلت في ذاكرتي صورة شبان محبوبين متحلين بالآداب والحياء والتواضع والانقياد وكانوا مع ذلك لا ينقصون من جهة المعارف عما يتحصله الشاب في هذه الايام وانما الفرق هو ان الشيء القليل الذي يتعلمه الشاب في هذا الوقت يتورم في مخه حتى يسد فراغه ويجعله يتوهم انه يحمل كنوز السموات والارض.

كنت في ليلة فرح وكانت الحفلة من أفخم وأجمل مارأيت من نوعها . أنفق فيها الذهب بلا حساب . وعند الساعه العاشرة دخل العروس وصدحت الموسيقي اعلانا بذلك فقلت لصديق كان جالسا بجانبي : هذا اعلان لعامة الحاضرين بامر سيتم بين الزوجين كان من حسن الذوق أن يبقى مستورا . وما أحسن ما اعتاد الغربيون فان الزوجين منهم يكونان مع المدعوين اذا بهما قد اختفيا عن أعين الحاضرين بدون أن يشعر بهما أحد ويغيبان عدة أسابيع فوافقني صديقي على ذلك ثم قال أتريد أن أقص عليك لهذه المناسبة شيئا رأيته بعيني قلت نعم فقال

كان سني لا يتجاوز تسع سنين ولا تزال صورة الواقعة التى سأقصها الآن محفوظة في ذاكرتي كما لو كانت حصلت منذ أسبوع . كان المنزل المقابل لمنزلنا يستعد شيئا فشيئا لحفلة كبيرة نصبوا من أجلها سرادقا واسعا ووضعوا فيه الكراسي المذهبة وعلقوا البيارق والنجف وكل يوم يمر يزيد في رونق الزينة وترتيبها فلما جاءت الليلة الكبيرة اضيئت الشموع وصدحت نغمات الموسيقي وتقاطرت وفود الرجال والنساء الى البيت يدخلون فيه أفواجا فيجلس الرجال في الصيوان وتختفي النساء في بيت الحريم الذى كانت تستطع فيه الانوار وتخرج من نوافذه .

ونحن سكان هذا الشارع الصغار عشرين أو ثلاثين طفلا من كل سن كنا أول المتفرجين وأكثرهم تمتعا فرحين بهذه المناظر البراقة والأنوار الزاهية والاضواء المنتشره نجلس ونقوم ونجرى ونضحك ونتشاجر سكارى من ضوضاء الاصوات وضياء الأنوار

فلما زف العروس بعد العشاء على الطريقة المعهوده دخل الى البيت ودخل وراءه بعض الاولاد وكنت من بينهم فرأيت سلم المنزل وفسحة الدور الاول مملوءة بالنساء وهن يتزاحمن للوصول الى الصف الاول ليشاهدن العروس داخلا. وكان أحد أقاربه ماشيا امامه فصار يدفعهن بيديه ليخلي له الطريق حتى وصل الى غرفة عروسه فأدخل فيها وأقفل الباب عليه وحينئذ وقف النسوة امام الباب كأنهن يترقبن حادثا كبيرا وهذا لم يمنعهن من المحادثة والمجادلة والضحك على شكل غير منتظم يستحيل معه التمييز بين من تقول ومن تسمع ومن حين الى حين تنادي احداهن «هس ياستات» وتستمر هي في الكلام أكثر من غيرها .

ماالزمن الذى مضى ونحن على هذا الحال لاادرى . ثم سمعت صياحا متكررا أتى من داخل الغرفة فازداد القلق والاضطراب بين جماعة النساء ومازال يتضاعف حتى أدى بهن الى الدق على الباب وبعد برهة فتح الرجل الباب وظهر عاري الرأس بارق العينين محتقن الوجه وتكلم مع أمه وأمزوجه كلاما شديدا مصحوبا باشارات الغضب ومن وقت لآخر كان يقول ماذا أصنع .. لااقدر .. وبعد مداولة صغيرة رجع ودخل وراء المرأتان وتبعه الجيش الذى كان واقفا وراء الباب مدفوعا كالسيل وقد جريت معهم حتى صرت قريبا من السرير فرأيت العجوزين قعدتا على صدر البنت وقبضت احداهما على ذراعيها والاخرى

على فخذيها فزاد صياح البنت وبكائها وتقدم الرجل و بيده خرقة بيضاء رأيتها بعد ذلك ملوثة بالدم فخرجت هاربا من هذا المنظر الشنيع لا أشك انهم ذبحوها .

***

في عهد الاستبداد في الوقت الذي كانت فيه كلمة من محمد على أو اسماعيل تكفي لاعدام من يغضب عليه أو ارساله الى البحر الابيض في تلك الايام السوداء التي كانت فيها حياة الانسان وحريته وأمواله مهددة بانواع الخطر ولم يكن لاحد مهما كان مقامه في الوجود ضمانة تحميه في ذلك العهد ظهر افراد وجدوا من شعورهم ما دفعهم الى صد ارادة الحاكم والتصريح بآرائهم

واليوم زالت أسباب الخوف من الحاكم فهل زادت قدرة الناس على المجاهرة بالحق والتصريح بآرائهم من ينظر نظرا سطحيا يظن اننا بلغنا من استقلال الرأى مبلغا لا ينافسنا فيه أحد حيث لا يجد من الامة أدنى أثر للخوف من الحكومة بل يرى بالعكس ان الاستخفاف بها صار عاما وانه لم يبق بين جميع طبقات الموظفين شخص محترم اللهم الا اذا كان جاويش البوليس أو خفير الترعة

ولكنه اذا حقق النظر لا يلبث ان يرى ان حرية الانتقاد لم تستعمل الى الآن في أعمال الحكومة الا لأن هذه النغمة الجديدة تطرب آذان السامعين وتفتح قلوبهم وجيوبهم

اما المسائل الاخرى الدينية والاجتماعية والمتعلقه بالاحوال الشخصية والعادات والاخلاق فلم يتجه فكر الباحثين الى انتقادها فهل لم يرَ أحد

منهم فيها عيباً ينتقد ؟ كلا وإنما هم يرون العيوب ولا يجرأون على اظهارها

***

قال أحد أعيان الاقاليم في هذه الايام التي كثرت فيها الاكتتابات للجمعيات الخيرية والمدارس والكتاتيب والمستشفيات ولا يمد يده أحد الامراء والذوات وكبار الموظفين والاغنياء المقيمين في العاصمة للاشتراك فيها ويحتمل جزأ من مغارمها يجب على عمد القرى واعيانها ان ينشئوا جمعية للدفاع عن أموالهم يسمونها جمعية منكوبي المشروعات الخيرية .

***

ليكن دعاؤك أن يحرسك الله من أصدقائك لانك لا تقدر أن تحترس منهم

الانذال يطردون بالايحاش والاحرار يطردون بفرط التجفي

مادحك بما ليس منك مخاطب لغيرك وجوابه وثوابه ساقطان عنك

رأي من دونك في المعرفة لك أمثل من رأيك لنفسك لانه خلو من هواك

المظلوم ينتصف بالعادل ولا يكاد يشتفي به ممن ظلمه

الحكمة عنوان المطلوبات اعتنوا بقوام البدن فانه آلة النفس

أنظروا لانفسكم وحاموا على قرابتكم

تزينوا بالعدل والبسوا ثوب العفاف تفلحوا

ان الكتاب اذا فارق واضعه فلابد قبل وقوعه الى من يعرف قدره ويمكنه الانتفاع به من أن يقع في أيدي جهال يستهينون به ويقذفون واضعه بمنزلة ماينال الصبي من التهتم واللطم من سفهاء الناس

لا ينبغي للرجل أن يتمنى لصديقه الغنى فيزهى عليه ولكن يتمنى أن يساويه

في الحال . وسئل أفلاطون بماذا ينتقم الانسان من عدوه قال - يتزيد فضلا فى نفسه

اذا عاينت الحدث على جرم فاترك موضعاً لجحود ذنبه كيلا يحمله المراء على المكابرة

لا تحتقر من الخير قليلا فان القليل من الخير كثير . وقال أفلاطون لتلامذته اذا كسلتم عن التأديب فطروا مجالسكم بغرائب الاحاديث لتنشطوا

وسئل بما أعرف اني قد صرت حكيما . قال: اذا لم تكن بما قضيت من الرأي معجبا ولم يستفزك عند الذنب الغضب .

وسئل عن التجاره فقال . حرص الرجل على الجمع بالشره وقلة القناعة

وقيل له من يخدمك . قال: الذين تخدمونهم هم خدمي

قال المؤلف . يعني بذلك قوتي الشهوة والغضب

وقيل له كيف ينبغي للرجل أن يصنع لئلا يحتاج . فقال ان كان غنيا فليقتصد وان كان فقيرا فليكد من العمل

وقال من شكركم على غير معروف أو برّ فعاجلوه بهما والا انعكس الحمد فصار ذما .

وقال : من أثرى من الالفاظ في الصغر افتقر من المعاني فى الكبر

قال المؤلف تشير الى من يتوفر فى صباه على تعلم اللغات وما يجرى معها

وقال . الحلم استيفاء معنى الوقار وضبط النفس عن الصبر على المكروه أو عن المحبوب

وقال . الاشرار يتقربون الى الملوك بمساوىء الناس والاخيار يتقربون

اليهم بمحاسنهم

وقال . طاعة الصبر في النوائب أسهل من الاسترسال الى الجزع والاجتلاب من فنونه المؤذية

وقال . ارحم ثلاثة عاقلاً يجرى عليه حكم جاهل وضعيفا في ملك قوى وكريما يرغب الي لئيم

وقال . ينبغي للعاقل ان يكون مع سلطانه كراكب البحر ان سلم بجسمه من الغرق لايسلم بقلبه من الحذر .

وقال : الاشرار يتتبعون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم كما يتتبع الذباب الموضع الفاسد من الجسد ويترك الصحيح منه

وقال :لاتستصغر عدوك فيقتحمك .

وقال : المكروه من زيادة مقداره على تقديرك فيه .

وقال : لاتقبلن في الاستخدام الاشفاعة الامانة والكفاءة

وقال : من حسن صبره على وعدك حسن صبره على شدائدك .

وقال :ينبغى للعاقل ان يستعمل فيما يلتمسه الرفق ومجانبة الهدوّ فان العلقة بهدوّها تلعق من الدم مالا تلعقه البعوضة فى اضطرابها وفرط صياحها

وقال : أقوى مايكون التصنع فى بدئه وأقوي مايكون الطبع في آخره .

وقال :العدل فى الشيء صورة واحدة والجور صور كثيرة فلهذا سهل ارتكاب الجور وصعب العدل فهما يشبهان الاصابة والخطأ فى الرماية فان الاصابة تحتاج الى الارتياض والتعهد والخطألايحتاج الى ذلك .

وقال : الملك كالبحر تستمد منه الانهار فان كان عذبا عذبت وان

كان ملحا ملحت

وقال : البخيل يسخو من عرضه بمقدار مايبخل به من ماله .

وقال : لاتلاح الغضبان فانك تملقه باللجاج ولا ترده الى الصواب .

وقال . لاتفرح بسقطة غيرك فانك لاتدري كيف تتصرف الايام بك .

وقال . صير العقل والحق امامك فانك لاتزال حرا بهما .

وقال . اذا عدم الرجل الحياء من الفضيحة والصبر على تعب الاكتساب سهل عليه السرق .

وقال . أضر من عاشرته مطريك ومغريك ومن قصرت همته عنك .

وقال . لاتنظرن الى أحد بالموضع الذى رتبه فيه زمانه وانظر اليه بقيمته في الحقيقة فانها مكانه الطبيعى

وقال . من تعلم العلم لفضيلته لم يوحشه كساده ومن تعلمه لجدواه انصرف عنه بانصراف الحظ عن أهله الى مايكسبه .

ويقال ان أفلاطون رأى فتى ورث مالا كثيرا وضياعا فاتلفها فقال . رأيت الارضين تبلع الناس فهذا الانسان بلع الارضين .

وقال : ماينقص من لذات الجسد يزيد فى لذة المعرفة

وقال . لاتشغل فكرك بماذهب منك بل احفظ مابقى معك .

وقال شرف النفس أن تقبل المحبوب والمكروه قبولا واحدا .

وقال . كمان أول مرقاة من السلم هو انفصالك من الارض كذلك أول الخير انفصالك من الشر

وقال . الحكمة كالدر فى الصدف فى البحر فلا ينال الا بالغواصين الحذاق

وقال . استعمل الحذر فى الطمأنينة والدعة فقلّ ما ينفع الحذر عند ورود الحادثة .

وقال . اشقى الناس من اهتم بما يجمع لغيره . قال المؤلف . رأيت فى العقل الابدى المنسوب الى كيومرت آدم الفرس « أيها الانسان لا تجمع لبعل امرأتك » .

قال أفلاطون : لان يموت الانسان فيخلف مالا لعدوه خير من ان يحتاج فى حياته الى اصدقائه . وسئل ما العشق . فقال . حركة النفس الفارغة لغير فكرة .

لا ينبغى للاديب ان يخاطب من لا أدب له كما لا ينبغي للصاحي ان ينازع السكران وقيل له كيف يغم الانسان عدوه . قال . بان يصلح نفسه .

وقال . التقوى رأس النجاح والتقي مفتاح الفضائل . وقال . الفجور من خواص الدواب الدنيئة وفشوه يهلك الامة وقال . الشهوات ضد الفكر .

وقال . فارق الدنيا وانت غير قلق عليها .

وقال . لا ينبغى ان يُختارَ الملكُ بحق السن بل بحق السجية لانه قد يكون الشيخ على خلاف ما يجب والشاب على ما يجب .

وقال . ليكن أول مايلتمس من الملك صدق اللسان فان في صدق اللسان رغبة الراغب و رهبة الراهب .

وقال . كما ان في الابنية الكبيرة قد يجيب الصدى وليس هناك شخص كذلك فى الناس من له صورة الانسان وليس بانسان .

قيل . جلس يوما أفلاطون وتلامذته حوله سوى ارسطوطاليس . فقال . لو وجدت مستمعا لتكلمت . فقيل له أيها الحكيم حولك الف

تلميذ . فقال . أريد واحدا كألف . قال بعض الادباء أخذ الشاعر هذا المعنى فقال في خالد بن زيد

ياعين فابكي خالداً　　الف ويدعى واحد

وقال أفلاطن . الفرق بين الحق والعدل ان الحق هو الذى يعطى كل ذى حق حقه من ذاته والعدل هو المعطى كل ذى حق حقه من الحق . من حسن ان يتصرف مع الزمان ولم يصرفه الزمان فذاك هو السائس الكامل.

وقال . لا يقدر على تفريع الفروع الا من حفظ الاصول ولا يعرف لذة الثمرة الا من ذاقها وعرف نفعها وفضيلتها . وقيل لافلاطن . متى يتضجر العاقل قال اذا حملته على مجاورة الجاهل . قيل له . أفلا ينبغي ان يجاور الجاهل بلى ان أراد رياضة الفكر قال

وقال . الاعتدال في كل شيء واحد وما جاوز الاعتدال فكثير

وقال الملوك ثلاثه طبيعى واختيارى وحسي فالطبيعى هو الذى يصير اليه الملك من طريق الوراثة والاختيارى هو الذى اختاره الخاصة والعامة والحسى هو المتغلب الذى يغتصب الملك وأفضل هؤلاء الثلاثة الاختيارى ثم الطبيعى ثم الحسى وان كان الطبيعى متمسكا بالحق فهو أفضل الجميع والحسى وان كان محقا فهو ثالث في المرتبة لانه غاصب . وقال كمون النفس في الجسد واتحادها به كاتحاد نور الشمس بالهواء فاذا عدم الهواء نور الشمس ذهب ضياؤه واذا صادفه استنار كاستنارة الشمس

ورأي أفلاطون حدثا جاهلا شديد العجب فقال له . وددت انى بالحقيقة مثلك في ظنك وان أعدائى مثلك بالحقيقة

و يقال ان أفلاطون استوطن بلدا و بيتا فسئل عن ذلك فقال حتى ان لم أمتنع من الشهوات لمضرة النفس امتنعت منها بالضرورة تجنبا لمضرة البدن.

وقال : محب الشرف هو الذى يتعب نفسه بالنظر فى العلم

وسأله بعض الاحداث كيف قدرت على كثرة ما تعلم ، قال . اني أفنيت من الزيت أكثر ما أفنيت أنت من الشراب وقال . الصور الحسنة بلا أدب مثل أوانى الذهب فيها خل . وقال . الجواد هو الذى يعطي بلا مسئلة صيانة للشرف عن المسئلة

وقال . ليس الملك من ملك العبيد والعامة بل من ملك الاحرار . ولا الغنى من جمع الاموال بل الغنى من دبر الاموال

وقال لا تحقرن صغيرا يحتمل الزياده

وقال . لو لم يكن في الترفه الا احتمال العادات الرديئة لكان كافيا فيها

وقال زيادتك . كلمة فى مخاطبة الحر أحب اليه من زيادتك درهما فى أجرته

وقال . عطية العالم شبيهة بمواهب الله عز وجل لانها لا تنفد عند الجود بها ولكنها توجد بكمالها عند مفيدها .

وقال . من فضيلة العلم انك لا تستطيع أن يخدمك فيه أحد كما يخدمك فى سائر الاشياء وانما تخدمه بنفسك ولا يستطيع أحد أن يسلبك اياه كما يسلبك غيره من المقتنيات

وقال . احسانك الى الحر يحركه على المكافأة واحسانك الى الوغد يحركه الى معاودة المسألة

وقال . قد يتهيأ للرجل أن يعمل فى أيام حياته لما يخلصه بعد مفارقتها الا

ترى ان الذين استعملوا تقليل الغذاء وتخفيف البدن قبل الموت أحرزوا طول البقاء للجثة وكذلك اذا آثروا الفضائل وترفعوا عن الرذائل لم يكن للشهوة والغضب بهم كبير تعلق وكانت النفس الناطقة مستريحة غير ممنوعة من الخلاص

وقال، من أكبر الادلة ان النفس الناطقة موجودة بعد مفارقة الجسد ماتراه من طول بقاء الجسد بعد الحياة وهو أحد جزئي الحى الاخس وليس يجوز ان يكون القيم عليه يقصر عن ماله من البقاء،

وقال لاتبذلن فى حراسة قنية لك خارجة عنك قوة من قوى نفسك فتصلح البعيد بالقريب وتبيح الخاص للمشترك لان القنية الخارجة عنك تنازعك ملكها وتتبعد لمن هو أقوى بذا منك والقوة منفردة بك وغير قلقة في ملكك،

وقال، ليس يلحق علة العلل برهان وانما يلحق البرهان الاشياء الجزئية لانه انما يصل الجزء بكليته،

وقال، ليس للعقل ان يعلم مافوق العقل الا من الجهة التى علم الانسان منها ان العقل ثابت فيه،

وقال، النفس التي في الشخص تغالب طبيعته وليس تعرف كل واحدة منها الوقوف على حقها من الاخرى الا بالعقل والنفس تشبه ذبالة القنديل والطبيعة تشبه زيته فاذا زادت قوة واحدة منهما على الاخرى بطل نظامها،

وقال . الدين فى أكثر الاوقات أعظم محنة منه في الحال التى احتيج اليه فيها لان الصيانة تعود بغاية الاخلاق وصاحبه مرفوق معه ومستيأس فيه وليس يستحيله الامن صغرت عنده قيمة نفسه وسهل عليه التلبيس والحيلة في المدافعة.

وقال القاضي اذا كان موسراً مال مع المطالِب واذا كان مملقاً مال مع المطالَب

وقال . أفضل الاسخياء من ملك فاقته ولا يسمح فيها بشيء من فضائله وأنقص البخلاء من منع مايكف غيره ولا يصل اليه عوده .

وقال . ينبغي أن يشغل الاحداث بتحفظ خواص الاشياء ومجارى طباعها وموقع بعضها من بعض قبل أوان قوة التفكير فيهم والا كانوا على المعارضة أقوى منهم على تبين الحجة .

وقال ، كلم خصمك مادام على سنن المناظرة فاذا عدل عنك فاثبت بمكانك منه فانه لا يورد عليك مايقدح في قولك ،

وقال ، تصرف الانسان وحاله في سائر عمره يشبه الشيء الكوني لانه يبتديء من أخفض حال ثم يرتفع قليلاً قليلاً حتى يبلغ نهايته ثم ينقص مثل ما يريد حتى يعود الي ما ابتدأ

وقال ، النفس الغضبية ابسط من النفس الشهوانية لانها كثيرة التركيب ولذلك هي أعون على الفضيلة من الشهوانية

أحسن ما في الانفة الترفع عن معائب الناس وترك الخضوع لما زاد على الكفاية

وقال ، من الادلة ان القوة الناطقة تعلم ما في كثير من الازمان الآتية انا نرى الانسان ربما كان خائفاً من ركوب الماء فكانت وفاته من الغرق فيه أو خائفاً من شيء فكانت به منيته فيدل ذلك على ان فيها من يرى ما ينزل به وربما تخطيء المنية الى غيرها من المصائب ويبغض رجلاً لا ذنب له اليه ولا بعد بينه وبينه في الشبه فيجرى عليه منه مكروه ويحب آخر لا

يشا كله فيجرى له حظ منه ،

وقال ، نفوس الاشرار فاسدة الترتيب لانها تصرف القول الجميل الى انه ستر على الاساءة وليس يفيدها حسن الاحتياط بمقدار ما يبخسها سوء التفهم ،

البخلاء يكون عفوهم عن عظيم الذنب اليهم أسهل من المكافأة على صغير الاحسان ،

الكريم يؤثرك بخلواته عند الرئيس فيذكر له ما وعدك به والنذل يجتنيها لنفسه

ينبغي لمن علم ان يسبق الجاهل الى حسن المدارة فانه يجمع بذلك الفضل والمحبة ،

لكل ذي فضل عدو لم يكتسبه يسوءه حسن الذكر له وجميل القول فيه ويري ان ما شاع من ذلك تبكيت له

وقال ، الشرير العالم يسره الطعن على المتقدمين في علمه ويسوءه بقاؤهم لانه يؤثر ان يعرف وحده بذلك العلم لان الغالب عليه شهوة الرئاسة والغلبة والخير يسوءه فقد أحد من طبقته في العلم لان رغبته الازدياد من العلم واحياء علمه بالمذاكرة

لا تهب نفسك لغير عقلك فتسيء ملكتها وتضيع زمانها وتخلف فيها من سوء العادة ما يرذلها ،

عالم الكون والفساد شبيه بمغارة مدمسة بعيدة الهوي وفي أعلاها طاق يدخل اليها منه شيء من الضياء فما قرب من الطاق أضوأ مما بعد وفيها جماعة يبيعون ويشترون ويتما شرون قد أنسوا بظلمتها واستعملوا مقاييس أكثرها فاسدة في جودة نقودهم فتطلعت نفس أحد من في تلك المغارة الى التسلق الى موضع الضوء والتماس ما يبعثه فتسنم مواضع شاهقة ولم يزل يتجشم كل مشقة

حتى قرب من الطاق ولم يصل الى ملامسته لـكنه أشرق من بين يديه وكانت معه دنانير ودراهم مما يستجيدونها في المغارة وتجري عندهم مجرى ما ارتفع الريب فيه فتأملها حيث انتهى به التسلق فوجد بعضها جيدا وبعضها رديئا فميز رديئها من جيدها ونزل الى المغارة فعرض الجياد عنـده على نقاد المغارة فاعترفوا بجودتها فاخرج اليهم ماعزله من الرديئة وسألهم عنها فاستجهلوه وقالوا ما بين الاولى والثانية فرق فضحك منهم وقال لهم ما أشك في أنها رديئة فقالوا كيف هذا وما دليلك عليه فقال رأيتها في هذا الضياء وأومأ بيده اليه فاستثقل المستوطن للمغارة مقاله وأخذ في الرد عليه وكذبه ونازعه قوم فشرعوا يتسلقون الى الضياء فمنهم من شق عليه التسلق فرجع ومنهم من صار معه الى موضعه فصدقه فصاروا فيما يتعاملون به ثلاثة أصناف رجل لم يفكر فيما جاء به المتسلق وأقام على ما جرى عليه سلفه غير مرتاب بشيء من تلك النقود وهم أصحاب التقليد الساكنون الى ما أمروا به وآخرون ينازعون المتسلق وهم أصحاب الجدل الذين ضعفوا عن الرياضة وقووا على المنازعة وآخرون قد طابقوا المتسلق بما شاهدوه معه وهم خدم العقل الذين رقوا اليه بالمقدمات والنتائج وهجروا في طلب المعقولات ولم يستثقلوا البحث عن الحقائق

وقال . ذوو العيوب يستهدون عيوب الناس ويصدقون من زيادة الخبر عنها ليتسع العذر فيما هم عليه منها .

ينبغي ان تحظر على التمرار العلوم التي تزيد في قوة النفس وحسن تصرفها ويقتصر بها على الرياضات التي تفتر وقدها وترد الى الاعتدال ما شذ عنها فان غير هذه من العلوم ان عدل بها عن أهل الفضل الى الشرار

كانت لهم كالاجنحة للعقارب التى تعينها على الآفات وتباعدها منها .

اذا ثقل على الرئيس الوعظ ولج فى ترك الانقياد للناصح وكذب الممكن وآثر التفويض واحتقر الجد من الاعداء فاطلب الخلاص منه .

ينبغى للعاقل ان يصرف حذره الى الشرار واستنامته الى الخيار . ـ

اذا اجتمع للرجل تقدمه عليك فى الرأى ووفور امانته فقد استحق ان تقلده وتقبل منه .

المتصنع اذا أجممته يضعف ويلتاث والمطبوع يقوى ويزيد . ـ

اذا استعمل الرئيس النفاق لمن دونه صعب ملقاه ولم يقبل بشره وضاعف عوارفه . ـ

من سجايا الحر ان يكون صبره على استصلاح من دونه أكثر من صبره على استعتاب من فوقه واحتماله ممن ضعف عنه أكثر من احتماله ممن قوى عليه .

وقال . أسرع الاشياء الى انحلال النفس تجرع المغايظ وقصور العادات ورد النصيحة وتضاحك ذوى البخوت بذوى العقول . ـ ينبغى للعاقل ان لا يكتسب الا بازيد مافيه ولا يخدم الا المقارب له فى خلقه . ـ

اذا خدمت رجلا رئيسا فبين ما يحتاج اليه فان المستخدم اما ان يكون أنقص منك فيما استخدمك فيه واما ان يكون أزيد منك فيه والناقص عنك محتاج الى ان تقبل تفويضه ولا تتركن شيئا من أموره بغير تأمل والزائد عليك ينبغى ان تطلعه على ماعملت به وتحرز الحجة عنده فى كل ماأتيته فانه انما يقيمك مقام حافظ عليه .

وقال . لاتستوف شرائط الاعمال وما يوجبه لها العدل فى الازمان المضطربة فيضيع سعيك وتنسب الى التخلف فى تمانيه ولكن ناسب بعملك طبيعة الزمان مالم يقدح ذلك فى مروءتك ودينك واخلاقك فاذا بلغ هذه الثلاثة فخل عما فى يدك منها والا خسرت من نفسك أكثر مما تربحه في ذات يدك .

ليس يحسن البخل الا فى أربع الدين والحرم وايام الحياة والمقاتلة ـ من جمع الى شرف أصله شرف نفسه فقد قضى الحق الذى عليه واستدعي الفضل بالحجة ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه فقد عقهم واستحق ان لا يقدم بهم على غيره .

لاترغبن الى من قصرت همته عن همتك وزاد حرصه على حرصك وكانت حيلته أوسع من حيلتك .

اذا خدمت من هو أقوى منك فى أمر من الامور فاظهر له فيه من النزاهة وحسن المواظبة ماتعدل به رجحانه عليك فان خدمت من أنت أقوى منه فاكفه مؤونة التعب به ووفر عليه العائد فيه .

الحلم لاينسب الاالى من قدر على السطوة . — ليس يجب الحمد والذم الا المعتمد للجميل والقبيح . ـ ينبغى للحاكم أن يسلك الحدود برفق ولا يخشن على أهل الجرائم فاولاهم ماجلس مجلس الحكم عليهم .

من نقص الشيخ مقامه فى رق الامل واشارته ماضعف من شهوته ومن فضله أن يسعى لطالب البناء بذكره ويعصم الاحداث عما يغريهم بدينه ويورطهم فى مكروه عاقبته ويجتهد أن يثبت باذاء كل رذيلة اقترفها فضيلة قبل تباين اجزائه

الاكل يستمرىء الاطعمة الموافقة له وتستمرئه الاطعمة المخالفة لطبعه . ــ اذا طلبت المال فاجعل زمان الاكتساب له أطول من زمان الاستماع به واذا طلبت العلم فاجعل زمان الارتياض به والفكر فيه أطول من زمان الجمع له

ليس ينتفع بالعلم ولا بالمال سارق لهما ولا محتال فيهما لان هاتين الرذيلتين لا تكونان الا فى نفس قبيحة الترتيب والنظام لا يزكو فيها شىء تملكه ولا يثمر . ــ لا يكن وكدك تقريب علم الشىء على المتعلم وايصاله اليه من غير تعب يلحقه فيه فان هذا يعمر حفظه ويخرب استطابته ولكن لوّح له به وخل بينه وبين اجالة فكره فيه وسدده الى طرق الصواب فاذا تبينت الجهل فيه فافتح ثليه . ــ لا تيأسن من خير من ضعف من المشايخ عن الاستعمال حتى تتبين ما معه من التجارب فان كان موسرا فيها فالحاجة اليه ماسة وان كان صفرًا منها فقدار تفعت الرغبة فيه

وقال . اذا احتجت الى المشورة فى طارىء عليك فاستبره ببدائه الشبان وردّ الى المشايخ بعقبه وحسن الاختيار فيه .

رأيُ من وازاك فى المعرفة لك أمثل من رأيك لنفسك لانه خلو من هواك .

أعظم قربة الرئيس الى المرؤوس الرحمة وأكبر ذرائع المرؤوس الى الرئيس الطاعة . ــ لا تطيعن قاصدا لك فيما يغض من مروءتك أو يخطر بك وكن عونا له فيما سوى ذلك . ــ لا تطيعن أحدا فى معصية من هو أقدر عليك منه فتتعرض من المكروه لاكثر مما تصديت له من الصلاح

طاعة الصبر على النوائب أسهل من الاسترسال الى الجزع والاجلاب من فنونه المردية . ــ من ملك نفسه أطاعه من دونها . ــ أوّل الطب ايناس

العليل والتثبت في الاستدلال باعراض العلة على أسبابها واختيار ماسهل على العليل من الادوية والتدبير

اذا بغى الرئيس ضيع الفرصة وترفع عن الحيلة وأنف من التحرز وظن أنه يكتفي بنفسه فعندها يصل اليه من سدد نحوه فيجد عورته فاضحة ومقاتله بادية . —

الانسان في سعيه كالعائم يكافح الجرية في أدباره ويجري معها في اقباله .

وقال . الخير من العلماء من رأى الجاهل بمنزلة الطفل الذي هو بالرحمة أحق منه بالغلظة ويعذره بنقصه فيما فرط منه ولا يعذر نفسه في التأخر عن هدايته واحتمال المشقة في تقويمه فان أفضل ثمار العلم تقويمه من دونه . — الدليل على ضعف الانسان انه ربما أتاه الحظ من حيث لا يحتسب والمكروه من حيث لا يرتقب .

اقوى مايكون التصنع في بدئه وأقوى مايكون الطبع في أواخره .

شرف العقل على الهوى ان العقل يملكك الزمان والهوى يستعبدك له — من أخذ نفسه بالطبع الكاذب كذبته الطبيعة الصادقة — كل ما حملت الحر عليه احتمله ورآه زيادة في شرفه الا التماس سقط جزء من حريته فانه يأباه ولا يجيب اليه . — من خدم الخير لم تذله الامور الطبيعية .

وقال . لا ينبغى للمرء ان يستعمل سوء الظن الا عند انقطاع الرأى .

وقال . الرأى يريك غاية الامر في مبدئه

وقال . اذا تحركت صورة الشر ولم تظهر ولدت الفزع واذا ظهرت ولدت الالم واذا تحركت صورة الخير ولم تظهر ولدت الفرح واذا ظهرت

ولدت اللذة

وقال . زينه الانسان ثلاثة الحلم والمحبة والحرية .

وقال . منع الكريم البر والتكرم مع اعطائه حقك أحسن من بذل السخي بالاستخفاف والتهاون .

وقال : ينبغي للحر أن يصون مروءته من وهمه وحرصه .

وقال . العزيز النفس هو الذي لا يذل للفاقة

وقال . أفضل الملوك من بقي بالعدل ذكره واستحلى من أتي بعده فضائله .

وقال موت الملك بدء حركة الزهد من نفوس الخواص في هذا العالم وعبرة للعوام

وقال . اعرف للاشياء فضلها تعرف فضلك وانظر اليها من جهة جواهرها ولا تتأملها من جهة اعراضها فان محبتك لها تدوم وانتفاعك بها يقيم

وقال الشراب يكتشف عن المتصنع سر التصنع وكذلك القدرة فلا تستعمل البطش حيث ينجع القول

وقال . قدم العدل تظفر بالمحبة

وقال : ينبغي للعاقل ان يربي صداقة صديقه بجميل الفعل وحسن التعاهد كما يربي الطفل الذي ولد له والشجرة يغرسها فان ثمرتها ونضرتها بقدر جميل الافتقاد لها

وقال لاتبكتن أحدا في الظاهر بما تأتيه في الباطن واستحي من نفسك فانها تلحظ منك ماغاب من غيرك .

وقال لاتجعل القائد لافعالك الوهم ولاتجرد شهوتك من العقل اذا هي

جمحت بك واستعن عليها بغضبك والا كنت بهيما

وقال . الحر من وفي ما يجب عليه وتسمح بكثير مما يجب له وصبر من عشيره على مالا يصبر منه على مثله وكانت حرمة القصد عنده توازى حرمة النسب وذمام المودة له تجوز ذمام الافضال عليه

وقال . اذا اشتد فرحك باقبال سلطانك عليك فقد ابتدأ بك السكر ونهايته ان ترى الناس بغير مقاديرهم و يسهل عليك ان تستذم اليهم

وقال . لا تشيرن على ملك في أحد بما تكره ان يعمله فى أمرك اذا حللت محله

وقال . واظب على من قدمت خلطتك به فان بينك و بينه مناسبة سماوية

وقال . اذا أردت ثبات جدة صاحبك فتبين رقته على من اضاق ذوى الجدات بالنقص وتعرضهم للمكاره ومن زالت عنه الجدة بالغلظة فترقب زوال أمره ما تكاد الجده تهدى الى صاحبها صديقا فيه خير ولا تكاد الشدة تهدى صديقا فيه شر

وقال . المحبة الصادقة للنفس ان تضعها موضعها ولا تحملها فوق طاقتها بالقاء العقل و بعثها فرط الشهوات ،

وقال في النواميس ايناس الخائف أفضل من اطعام الجائع ،

وقال أعظم من فقد النعمة ما يتخلف من نفوس من زالت عنه من الشهوات المردية والمذاهب الذميمه وافضل من فقد الشدائد ما يتخلف في نفوس من زالت عنه من قوة الصبر وذكاء الجوارح وسلوك النفس الى الامر المحمود

وقال ، غريم المرء يشبه ابطاه ان أغفله فضحه وابدى عورة منه

كانت مستوره

وقال ٤ الحاذق بالسياسة من الملوك من استخدم الفضائل فى الناس والرذائل كما تستخدم الطبيعة فضول الاغذية فتجعلها فى أشياء تنتفع بها

وقال . ليس يطول التذاذك بشيء حسى ولا طبيعى لانه سريع التنقل والحركة وانما يثبت لك الالتذاذ بالاشياء العقلية التى تثبت ولا تحتاج الي حراسة هيولاها

وقال ٤ احسانك الى من كادك من الشرار والحدة اغاظ عليهم من موقع اساءتهم منك لانك تمنعهم به ما تطلع نفوسهم اليه من تمام كيدهم لك و بلوغ المحنة فيك وليس ينكسر منهم باحسانك الا من أفرط به ضيق أحواله وكان فيه ضعف عن المعاركة

وقال . أنقص من كذب لغيره وأحسن من الظالم من ظلم لسواه

وقال . البخل يحسن للرفيع التواضع وللنبيه الخمول وللوصول للوحشة والتفرد ويحبب اليه أن يكون رعية بعد ان كان راعيا خوفا من غلظ المؤن عليه وهو مع هذا ضعيف القلب عن المقاومة والسخاء فى ضد هذه الحال والاعتدال آخذ بأحسن ما فيهما

وقال . اذا مرق منك تابع الى عدو لك فلا تتبعه سوء ذكر ولا تطلق ذلك فيه لغيرك وحافظ على أسبابه وأتمم ان خروجه عنك عن مواطأة بينك و بينه وانك نصبته للتخير عليك وهو لا يظهر على لسانك ولكن اطاقها وانكر ما يتأذى منها فانك تفسد بذلك محله وتلين قسوته عليك واحذر أن تؤيسه من حسن المراجعة بسوء الايقاع فى أسبابه

وقال. اذا حاولت أمراً فلا تجمع فيه ولا ترمه باكثر من جهدك وكن فيه كالملاح في قطع عرض البحر يسترق الجرية والرياح ويستعمل الاخلاص فيما عجز عنه لانه ربما كان الاغراق في الامر سبباً لقوته والاخطار بصاحبه فيه .

وقال. حيث تريد القول ينقص العمل وحيث تقع التهمة يضعف الاسترسال

وقال. ليس ينبغي للعاقل الحسن الحال أن يفرح بموت عدو له لان الطبيعة لا تتركه بغير عدو ولكن ينبغي أن يكون فرحه موكلاً بارتفاع عداوة الخيار له وميل الشرار اليه ويسهل عليه ماسوى ذلك

وقال. لا تظهر الاسف على شيء اغتصبته في هذا العالم فلو كان لك بالحقيقة لما وصل اليه غيرك

وقال. الزمان الرديء يقلب أعيان المنعمين الى المنع والاساءة بما يظهر فيه من كفر الاحسان ومقابلة الجميع بالقبيح

وقال. لا يغرك ماشاع عن رجل الى الايثار له أو الى الانحراف عنه واختلط مع الاشاعة عنه الاختبار له .

وقال. ينبغي لمن طال لسانه وحسن بيانه أن لا يحدث بغرائب ما سمع فان الحسد لحسن ما يظهر منه يحملهم على تكذيبه وترك الخوض في الشريعة والا حملتهم المنافسة على تكفيره

***

من الناس من اذا أراد أن يفعل الخير انتهز الوقت المناسب لاعلانه فاذا رأى شهوداً وضع يده في جيبه وأخرج كيسه وعد النقود ووضعها ببطء في يد صاحبه بعد أن يراها الحاضرون ولكيلا يبقى عندهم شك في مقدارها يقول لمن

تفضل بمساعدته . خذ هذه الجنيهات العشره . فاذا خرج هذا المسكين التفت الى من حوله وشرح لهم عواطفه وحنوه واعتياده عمل البر ثم كلما اجتمع فى نهاره بواحد من معارفه أو جد مناسبة ليقص عليه خبر هذا الحادث العظيم ، هذا الرجل أراد فعل الخير لنفسه فاستعمل صاحب الحاجه وسيلة لذلك ،

ومنهم من يريد فعل الخير فيقبل على المحتاج فيفتح له قلبه و يصغى الى شكواه و يشاركه فى الهو يحزن لحزنه ثم يبذل له من عبارات التسلية وكلمات النصح مايقوى عزيمته فاذا قدم اليه مساعدة مادية دسها في وسط الكلام والمحادثة وهو مضطرب خائف أن يجرح احساساً شريفاً ، يحتال في انتخاب طرق العرض و يعتذر عن عمله فاذا قبل منه شعر بفرح كمن يكون وقع فى ورطة ثم تخلص منها ، ذلك هو المحسن الذى يعرف أن للنفس حياء يجب احترامه كما ان في الجسم ماينبغي غض النظر عنه ،

فعل الخير حسن وأحسن منه ستره ، أقل مراتب العلم ماتعلمه الانسان من الكتب والاساتذة وأعظمها ماتعلمه تجاربه الشخصية فى الاشياء والناس ،

من مرورى فى المدارس او المكاتب أحفظ تذكارا ثابتا لا يزول أبدا وهو — الخوف من الضرب — فى المكاتب ضرب بالعصى على الارجل أو الكتف أو الرأس أو أى مكان آخر من الجسم وفى المدارس بالتبله المزفته والفلقه ضرب يبقى أثره مدة أيام ، كنت أذهب الى محل التعليم مصحوبا باضطراب فى العقل وخفقان فى القلب وارتعاش فى الجسم و بعكس ذلك أرى الآن الاطفال يذهبون الى المدارس راضين مسرورين ، نتيجة منع الضرب فيها ودخول الالعاب الرياضة ، لابد أن تكون الغاية النهائية للتربية الادبيه هى العفو عن

الخطيئة . بالعفو عن أكبر خطيئة العفو عن كل خطيئة ، هل المخطىء مسؤل أو غير مسؤل ، وماهى درجة مسؤليته ، مسأله عظيمة يجب من يريد الحكم على غيره أن يحملها ، لكن حلها يكاد يكون محالا اذ لا يستطيع أحد أن يلم بجميع العوامل التي تتركب منها الذات الانسانيه بوجهيها الادبى والمادى ، والقليل الذي يعلمه من ذلك يبين ان سلطة الاراده على النفس محدوده وخاضعة لمؤثرات كثيره شديده تتنازعها وتقارعها وتضعف قوتها على نسبة مجهولة ومقدار لا يصل الى تقديره عقلنا ، وكل تاريخ الانسان فى الماضي يدل على انه ان لم يكن متولدا عن الحيوان المفترس مباشرة فهو متشابه له في شرهه واطماعه وشهواته . وخلق عليل النفس كما هو مريض الجسم ، خلق على أن تكون صحته الجسمية والعقلية صدفة سعيدة وعارضا موقتا ، فالخطيئة هى الشيء المعتاد الذى لا محل له للاستغراب منه ، هى الحالة الطبيعية الملازمة لغريزة الانسان ، هى الميراث الذي تركه آدم وحواء لاولادهما التعساء من يوم ان اقتربا من الشجرة المحرمة وذاقا ثمرتها التي يتخيل لى انها كانت الذ من كل ما ابيح لهما . من ذلك اليوم البعيد لوثت الخطيئة طبيعتهما وانتقلت منهما الى ذريتهما جيلا بعد جيل ، لذلك هو الحمل الثقيل الذى تئن تحته أرواحنا المتهيبة شوقا الى الفضيلة العاجزه عن الحصول على اليسير منها الا بمقاساة أصعب المجهودات حتي هذا النذر القليل لا سبيل الى بلوغه الا بتمرين طويل يتخلله حتما سقوط متكرر فى الخطيئة يكون منه الدرس المفيد لاتقائه في المستقبل . واخيرا فان العفو هو الوسيلة الوحيده التي ربما تنفع لاصلاح المذنب فقلما توجد طبيعة مهما كانت يابسه لا يمكن أن تلين اذا هي عولجت ، الانسان أسير الشهوات مادام حيا وانما تختلف شهواته باختلاف

سنه فشهوة اللعب عند الطفل وشهوة الحب عند الشاب وشهوة الطمع عند رجل الار بعين وشهوة السلطه عند شيخ الستين جميعها شهوات تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا . متى وقع فيها أحدنا يجب عليه أن لا يترك نفسه الى تصرفها ولا يستصعب الخلاص منها ولا ييأس من نفسه بل عليه ان يقاومها كما يقاوم المريض علته . عليه ان يوجه ارادته الى مصارعتها والتغلب عليها ، عليه ان يحول فكره عن الامس الذي كان فيه قبيحا و ينظر الى غده الذي يكون فيه جميلاً ،

يظهرلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لجهازه العصبي فاكثر الناس استعدادا للرقي هم العصبيون الذين تبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغا عظيما وتهتز اعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة أولئك هم السعداء التعساء الذين يتمتعون و يتألمون ، أولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون فيما بينهم في مصادفة كل صعوبة ، من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي اليه أسرارها فيصير شاعرا بليغا أو وليا طاهرا أو فيلسوفا حكيما أو نبيا كريما

***

لعل أكبر الاسباب في انحطاط الامة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة لتمثيل والتصوير والموسيقي هذه الفنون ترمي جميعها على اختلاف موضوعها الى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الجمال والكمال فاهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور

***

دخلنا قصر اللوفر وكنا أربعة من المصريين لنمتع النظر بابدع ماجادت به قرائح اعاظم الرجال في العالم فبعد أن تجولنا في غرفتين جلس أحدنا على احد الكراسي قائلا أنا اكتفيت بما رأيت وها أنا منتظركم هنا وقال الثاني اتبعكما انا لاني أحب المشي واعتبر هذه الزيارة رياضة لجسمي وسار معنا شاخصاً أمامه لا يلتفت الى اليمين ولا الى اليسار ومازال كذلك حتى وصلنا قاعة المصاغ والحلي وحينئذ تنبهت حواسه وصار ينظر الى الذهب ثم صاح (هذا الطف مافي هذه الدار) وصلنا الى تمثال الهة الجمال الفريدة في العالم أجمع فسألت دليلنا ماذا تساوي هذه الصورة اذا عرضت للبيع فقال انها تساوي ثروة أغنى رجل في العالم تساوي كل ما يملكه الانسان تساوي مايقدره لها حائزها ويطلبه ثمنا لها اذ لاحد لقيمتها

***

مهما كان الرأي في حكم الاتراك لمصر فلا ريب عندي ان الامة المصرية استفادت منهم كثيراً وجدت فيهم انسانية راقية فاقتبست منهم بالمعاشرة والمصاهرة النظافة وترتيب المسكن والتفنن في الملبس والمأكل وكثيرا من العادات الحسنة والصفات الادبية

واذا كان التعليم قرب ما بين الرجال من المسافة فهي لا تزال الى الآن بعيدة بين المرأة التركية والمرأة المصرية حتى انك لترى الرجال المهذبين يتهافتون على طلب الزواج بالاولى بقدر ابتعادهم عن الثانية — واليوم وجد المصريون والاتراك امامهم انسانية أرقى اختلطت بهم اختلاطا كبيرا فاخذوا يقلدون الاوربيين في جميع شؤون حياتهم ولا أرى ان هذا التقليد سيكون له أثر حميد

في انقاذ أمتنا من الحال التى هى فيه الآن

***

كان خمسة من أرباب المعاشات خمسة شيوخ مروا على فروع الادارة المصرية القديمة وتقلبوا فى مناصبها المالية من مديرية الى مجلس الاحكام الى ديوان الأوقاف الى السكك الحديدية اختاروا بيت أحد أكبرهم رتبة وصاروا يجتمعون فيه من الصبح الي الظهر ومن العصر الى بعد الغروب جالسين على الكراسى في بستان عتيق مهمل ولكنه واسع الارجاء تطاول أشجاره السماء هواؤه معطر بروائح الزهور لا يصل اليه شىء من ضوضاء الطريق ولا يسمع فيه غير تغريد الطيور ماذا كانوا يقولون ويفعلون ؟ كانوا يقضون الايام الباقية من عمرهم مؤتنسين بهذا الاجتماع مكتفين به لسد فراغ حياتهم وفى بعض الاحيان يلعبون النرد فيتقدم منهم اثنان الى ميدان المبارزة ويلتف حولهما الباقون للفرجة واذ ذاك ترتفع أصواتهم — شيش يك — بنج جهار — خانه — اضرب — ويتناقشون بحدة هذا يضحك لانه غالب والآخر يغضب لانه مغلوب فاذا انتهوا من اللعب أخذوا يتحادثون ويذكرون ماضى حياتهم وسيرتهم في أعمالهم بالتفصيل والتدقيق فى تواريخ السنين والشهور ويخرجون من أعماق حافظتهم الامينة حوادث مهمة ووقائع غريبة رأوها أو سمعوها أيام حكم الخديو بين السابقين يروونها ويكررونها مرات كلما عرضت لذلك مناسبة ويتخلل هذا الحديث تهكم بقواعد الادارة الحديثة واستهزاء برجال الحكومة الحالية وملاحظات على فساد أخلاق هذا الجيل وعلى اختلال الامن وضياع احترام الصغير للكبير والوضيع للرفيع والمحكوم

للحاكم وذلك بعبارات وألفاظ هادئة مجردة عن حدة الشهوات والتأثر سوى نوع من التألم كان يبدو وأثره احيانا على وجوههم . وهناك موضوع كان يتردد فى غالب الاحيان في حديثهم هو تقدير سن كل واحد منهم متى طرقوه جرهم الى مناقشات شديدة وعمليات حسابية طويلة وخلط فى الارقام والوقائع وعوج فى الرأي واباء للحق ومغالطات ظاهرة كانوا هم أنفسهم أول من يضحك منها بصوت عال ضخم يسمع دويه من مسافة بعيدة ومهما بلغ جهدهم فى الفحص والاخذ والرد فقد بقيت هذه المسألة غامضة وظل كل منهم حافظا مركزه متمسكاً بزعمه . وفي يوم حضروا كعادتهم الى بيت زميلهم فوجدوه قد مات فى الليل فنقلوا مركز اجتماعهم في اليوم التالى الي بيت أحدهم واستمروا هم الاربعة على حالهم المعهودة ولكن نفوسهم كانت تشعر دائما ببعض الحزن كان روح فقيدهم كانت تطوف حولهم وتشكوا اليهم انفرادها وتدعوهم الى الانضمام اليها فلبى ثلاثة منهم هذا النداء المستمر وماتوا واحدا بعد الآخر فى مدة قصيرة وبقى خامسهم الى الآن منفردا كئيبا لا يتكلم ولا يخرج من بيته لايدرى ماذا يصنع بحياته ويرقب الموت الذى يخلصه منها

***

أتعرف حسين بك ؟ ـ لا ـ ؟ رجل خفيف ولطيف لاتغيب البشاشة عن وجهه ولم يراه أحد قط غير مبتسم . اذا قال لك نهارك سعيد ضحك واذا اخبرته ان الهواء طيب ضحك أو اذا سمع ان زيداً مات ضحك زينة المجالس وأنيس النوادى يرى نفسه مكلفا بوظيفة السمر ورفيها ومنوطا بنشر التفريح حوله يستخدم كل شىء لتسلية نفسه وأصحابه فيجد فى أهم الحوادث موضوعاً للتنكيت

وفي أحسن الرجال محلا للسخرية . لو ضحيت حياتك في أشرف الاعمال لا بد أن يفتش فيها عن الجهة التي تتخذها واسطة للاستهزاء بها وجعلها اضحوكة للناس

بين هذا الهذيان القبيح والانتقاد الهزلي الصحيح فرق عظيم الانتقاد الهزلي الصحيح يصدر عن علم وشعور وذوق سليم ينظر الي مواضع العيوب في الانسان وجهات الضعف في الحوادث فيتبسم بسكون ولطف واذا علا صوته للضحك فليس لان الضحك غايته بل بعده وسيلة للفت النظر الى شيء يحزنه وامر يبكيه

غرضه الاصلاح فيجاهد فيه بالطريقة التي يراها مناسبة لاستعداده الطبيعي، لا يحقر احساسا شريفا ولا يصغر عملا كبيرا . وانما يحارب الرذائل والدنايا و يلحق بها أخف ما يمكن من الضرر في هذا الاسلوب نبغ عدد كبير من الكتاب الشعراء والقصصيين في اوروبا وعدّوا من أعظم رجال الادب والفلسفة

تمت كلمات المرحوم قاسم بك أمين